فاديت الصغيرة

تأليف

جورج ساند

نقلتها إلى العربية

فاطمة عابدين

جورج ساند
الكاتبة الفرنسية الشهيرة

اسمها: آماندين أورور لوسيل دوبان

ولدت عام ١٨٠٤م وتوفيت عام ١٨٧٦ بعد أن حصلت على مكانة مرموقة في الحياة الاجتماعية الفرنسية لفترة ما يقرب من خمسين عاماً.

التقت ببعض من رجال هم الأذكى في زمنها، استقبلتهم وقدموا لها الدعم والمساندة، وكثيراً ما أحبتهم. كان منهم كتاب وموسيقيون ورسامون أمثال:" جوسيه" و"بلزاك" و"سانت بوف" و"فلوبير" و"ليست" و"شوبان" و"دولاكروا". كانوا يدافعون عن عالم العمال وعن الحرية أمثال: "لوروكس" و"آراغو" ومن ثم أخيراً "ميشيليه" . صدر لها نوعان من الكتب، بعضها للدفاع عن حقوق المرأة في الحرية مثل : كتاب"انديانا" الذي صدر عام ١٩٣٢، ثم"ليلى" عام١٨٣٣ ، و"كونسويكو" عام ١٨٤٢.

اما البعض الآخر من هذه الكتب فقد عرضت فيه أفكار أصدقائها مثل "لوروكس" و"باربس" و"آراغو" ، ثم كتاب "رفيق الدرب حول فرنسا" عام ١٨٤٠ ثم "كمان أنغيبوت" عام ١٨٤٣.

نسي الناس كل هذه الكتب تقريباً وما تبقى من هذه السيدة النشيطة تلك الكتب التي حكت فيها عن فلاحي فرنسا وقد عرفتهم جيداً وأحبتهم عندما كانت طفلة فكانت تلهو مع أبناء البلد في "نوهان" في مقاطعة "بيرري" وسط فرنسا، وأصغت إلى حكايا الكبار اتي كانت تحكى في ذلك الحين في السهرة بعد العشاء. وعندما غدت شابة عادت لتعيش في "نوهان" كلما أمكن لها ذلك حيث غدا كل الفلاحين وعمال المزارع أصدقاء لها وكان بالنسبة لها إذا كتبت كتاباً عنهم بمثابة استجمام بأنسام الكرم بعد الحياة القاسية في باريس، تلك المدينة الكبيرة.

وعندما كتبت قصة"فاديت الصغيرة" عام ١٨٤٩ كانت تظن أنهم سيوقفونها لأنها حرضت العمال في "باريس" على الثورة، ورصدت في هذه القصة أناساً بسطاء كرماء مستقيمين التقت بهم وتعرفت عليهم.

"فاديت الصغيرة"

الأب "باربو" يعود إلى البيت

ليس الأب "باربو" فقيراً فهو يمتلك حقلين كبيرين يتيحان له أن يقوم بأود عائلته، كما أنه يملك مروجاً يعلم الجميع أنها جيدة أحدها على جانب نهر "لاجونسـيير" قليلة الرطوبة في الربيع لكنها تعطي أفضل الأعلاف في الخريف.

يسكن في بيت جيد البناء أحاطه بالدوالي وحديقة كبيرة تقدم له منذ أول الربيع حتى أواخر الخريف كل الفواكه على أشـجارها. يعمل الأب "باربو" بشـكل جيد فهو رجل طيب يحب أسرته كثيراً، مهذب دائماً مسـتعد للمسـاعدة، يحبه الناس كثيراً في بلدته وقد منح عضوية في مجلس البلدة.

أنجبت له زوجته ثلاثة أولاد وعاد ذات يوم على البيت ليرى رأسين صغيرين متشابهين تماماً في سرير خشبي قديم. استولت عليه الدهشة لكنه قال وبكل بساطة:

-آه.. هذا السرـير ضـيق على الولدين، غداً سـأصـنع لهما سريراً أكثر اتسـاعاً. فالأب "باربو" هو نجار أيضـاً كما هو فلاح، ويعتقد انه غدا نجاراً دون أن يتعلم ذلك من أحد. وهو الذي قام بصنع نصف الأثاث في بيته.

لذلك لم يدهش وراح يعتني بزوجته فسخن لها بعضاً من الخمر وقدم لها قدحاً وهو يقول:

-إنك تعملين بشـكل رائع وهذا ما يمنحني الشـجاعة، ولقد غدا عندنا طفلان جديدان علينا أن نقوم بتربيتهم. نحن لم نكن بحاجة إليهما وعلي منذ الآن أن لا أتوقف عن زراعة الأرض وتربية الحيوانات قبل فترة طويلة... لكن كوني مطمئنة فسوف أتحمل ولكن إياك أن تنجبي لي ثلاثاً في المرة القادمة فسيكون ذلك كثيراً جداً.

وأخذت الأم تبكي مما سبب ألماً للأب "باربو" فقال لها:

-يجب أن لا تحزني يا زوجتي فما قلت هذا إلا لكي أشـكرك، لا تظني أني غاضـب. على العكس تماماً، إن هذين الطفلين جميلين رائعين وأحدهما مثل الآخر تماماً وأنا مسرـور لذلك كثيراً. وردت الأم:

-آه يا إلهي... أعرف أنك لست غاضباً لكني أتساءل: إذ أنهم يقولون أن تربية التوائم أكثر صــعوبة من الأولاد الآخرين، فهم يخطئون دائماً ويقال أن أحدهم يجب أن يموت لكي يعيش الآخر جيداً.

-هذا صـحيح... لكني أرى أنهما توأم حقيقي ولم أر توأماً آخر مثلهما في القرية... وها هي الأم الحكيمة "ســـاجيت" فهي تعرف كل شيء عن الأطفال وســـنقول لها ما يجب أن نفكر فيه.

نصائح الحكيمة (القابلة)

وقالت الحكيمة:

-أنا متأكدة أن هذين الطفلين سوف يعيشان، ولن يصابا بالأمراض مثل بقية الأطفال، فأنا أقوم بتوليد الأطفال وأراهم يعيشون ويموتون منذ أكثر من خمسين عاماً، وليست هذه المرة الأولى التي تحدث معي. إنهما متشابهان تماماً.

-ولكن ماذا يمكن لهذا أن يسبب؟

-هذا لا يمنع أن يكونا بصـــحة جيدة، فهناك من لا يتشـــابهون تماماً ومع ذلك يعيش واحد ويموت الآخر. انظر إليهما إنهما جميلان يريدان أن يعيشا هذا كل ما في الأمر.

ومرر الأب يده بين شعره وقال:

-قيل لي أن توأمين كهذين يغدوان أ صدقاء بعمق، يـشعران بالأسى عندما يفترقان وقد يغادر أحدهما الحياة,

- هذا صحيح أيـضاً، لكني امرأة رأت الكثير، تذكر ما سأقوله لك: عندما سيحين وقت فراقهما سـأكون قد فارقت الحياة حتماً فلن أكون موجودة لكي أقدم لك النصـائح. احرصـوا منذ الآن أن لا تتركوهما معاً دائماً أرســـلوا احدهما للعمل ودعوا الآخر في البيت، إذا ذهب أحدهما لصـيد السـمك فأرسـلوا الآخر لصـيد العصـافير. وإذا رعى أحدهما الخراف فدعوا الآخر يهتم بالأبقار، وإذا دمتم لأحدهما كأســـاً من الماء قدموا للآخر قدحاً من الخمر. لا تعاقبوهما في نفس الوقت ولا تلبـسوهما ثياباً متـشابهة، وإذا ارتدى أحدهما قبعة فلا يجب أن يرتدي الآخر مثلها، لا تلبـسوهما ثياباً لها نفس اللون وحاولوا بكل الو سائل أن لا تخلطوا بينهما حتى تظنون أن أحدهما هو الآخر. يجب أن يعتادا على أن يستغني أحدهما عن

صاحبه. وأقول لكم هذه الحقيقة لمصلحتكم ولمصلحتهما أيضاً وما أخشاه أن لا تصغوا إلي ما يسبب لكم الأسى في يوم من الأيام.

والقابلة هي امرأة تعلمت الكثير خلال حياتها الطويلة، فوعدوها أن ينفذوا جميع ما قالته لهم وقدموا لها مبلغاً كبيراً من المال عندما غادرت.

كانت الأم "باربو" ترضع ولديها دون أن تشتكي ولكن بعد مضي عامين كاملين أنجبت بنتاً صغيرة كدليل على حسن صحتها وأسمتها "نانيت" أما الصبيان فكان الأول يدعى "سلفان" والثاني اسمه "لاندري".

"سلفان ولاندري"

ولم يصب التوأمان بأي مرض مثل بقية الأطفال فصحتهم جيدة حتى أنهما لم يصابا بألم في الأسنان فلا يبكيان ولا يصرخان، كانا أشقران وبقيا كذلك. لهما مناكب متينة وأجسام سليمة مستقيمة متوضعة بشكل جيد. يبدوان أكثر بدانة من غيرهما من الأطفال في مثل سنهما فكان الأولاد الذين يمرون من قرية "كوس" يقفون يتفرجون ويقولون: ما أجمل هذين الطفلين.

ولم يكن بالإمكان التمييز بينهما عندما كانا صغيرين فكأنك تنظر إلى بيضتين ولكن إذا تعمق المرء بالنظر إليهما يلاحظ أن "لاندري" أكبر من أخيه بقليل وأقوى منه، شعره أكثر كثافة وأنفه أضخم ويده أكثر مهارة. كل منهما يعادل الآخر بينما كان "لاندري" أكثر مرحاً وأكثر جرأة، أما "سلفان" فكان أكثر لطفاً وأعمق فكراً. يحب كل منهما أخاه تماماً.

وارتأوا أن لا يلبسوهما ثياباً متشابهة خلال الأشهر الثلاثة الأولى. وما أطول الأشهر الثلاثة... وقد لاحظ الأبوان أن القابلة " ساجيت" غدت عجوزاً وقال بعضهما أنها لا تعي ما تقول. فالله تعالى خلق التوأمين ليعيشا مع بعضهما ونسيا تماماً كل ما وعدا أن يقوما به فألبسوهما نفس السراويل ثم خاطا لهما ثياباً من نفس القماش (كان تنورة قديمة من ثياب والدتهما) وعند خياط واحد لم يكن له من ثانٍ في القرية. ومرت الأيام والتوأمان يتشابهان فكان أبواهما وأختهما الوحيدين الذين يعرفونهما وقد يساعدون بعض الناس على التمييز بينهما. فعندما يثقب حذاء واحد منهما ترى ثقباً مشابهاً في حذاء الآخر وفي نفس المكان، وإذا تمزقت سترة واحد منهما يحدث نفس الحدث لدى الآخر، وإذا نبهت والدتهما في موضوع إلى أحدهما يضحكان ويشرحان لها أن هذا قد حدث فعلاً.

أصدقاء دائماً

هل غدا هذا غماً أم سعادة يا ترى؟ وماذا يمكن أن يقال؟

ما هو مؤكد أنهما يصبحان صديقين أكثر فأكثر وأنهما عندما بلغا السابعة من عمرهما لم يعودا يرغبان في أن يفترقا ولا أن يلعبا مع بقية الأطفال غلا إذا كانا معاً. أراد الأب ذات يوم أن يبقي أحدهما إلى جانبه وترك الآخر عند أمه. كان الاثنان تعيسين لم يرغبا في اللعب ولا في العمل حتى ظن أنهما مريضان.

وفي المساء عندما حان وقت العودة إلى البيت أخذا يسيران في الدرب متماسكي الأيدي لا يريدان العودة لشدة ما كانا مسرورين ببعضهما وليسا مسرورين من أبويهما مما سبب ضيقاً لدى الأبوين.

لكن الله لا يقوم في السماء بنفس ما يقوم به على الأرض فقد قرر أن يمنح حياة مختلفة لكل منهما. وغدت أسرة "باربو" كبيرة عندما بلغ التوأمان الثامنة عشر من عمرهما، إذ أن الأختين السابقتين لا تتوانيان عن إنجاب أطفال صغار إلى العالم. زوجاهما يعملان بجد لكن لا يجدان عملاً كل يوم ومن ثم فمحاصيل الأرض غدت سيئة لعدة سنوات، والأب ليس غنياً ليكفي كل هؤلاء الأطفال في بيته.

لذلك على الجميع أن يعملوا. واقترح الأب "غايو" وهو صاحب مزرعة مجاورة أن يأخذ أحد التوأمين ليعمل عنده في تربية الثيران. فهو يمتلك مزرعة كبيرة وأبناؤه إما أكبر من هذا العمل أو أصغر منه.

كانت الأم "باربو" خائفة جداً وحزينة عندما علمت بذلك لكنها اعتادت أن تدع زوجها يتخذ القرار فهو حكيم وطيب ولديه صعوبات كثيرة عاشها في الحياة.

على أحد التوأمين أن يعمل

وبكى التوأمان بادئ ذي بدء وقضيا ثلاثة أيام في الغابات والمروج فلم يرهم أحد إلا في أوقات الطعام، لم يتحدثا مع أبويهما وإذا سئلا لا يجيبان. قضيا اليوم الأول وحيدين يبكيان متماسكين بالأيدي، فإذا رآهما أحد ظن أن أحدهما يخشى أن يخطف أخاه منه.

فكر الأب "باربو" أن يجبرهما بالقوة لكنه كفلاح شعر أن عليه دائماً أن ينتظر. وعرف التوأمان أنهم ينتظرون منهما أن يعقلا فقال "لاندري" لأخيه:

-إن السيد "غايو" يريد واحداً منا فقط وعلينا أن نقرر من منا سيذهب. إن "لاندري" لا يريد أن يزعج أخاه لذا كان يريد أن يذهب هو للعمل. وإذا تكلم معه بهذا الشكل فهو يريد أن يعرف رد أخيه، لكن "سلفان" لم يجب وأدرك "لاندري" أنه يخشى أن يذهب ليعيش في بيت غريب فقال له:

- من الأفضل أن أغادر.. أنت تعلم أنني أقوى منك قليلاً فإذا مرض أحدنا - ونحن نمرض معاً عادة - فتكون حماك أقوى عليك. وقد يقال أننا سنموت حتماً إذا افترقنا ولا أظن أنني سأموت لكنني أخشى عليك. وقد أريدك أن تبقى مع والدتك فهي تعرف كيف تعتني بك. ابق إذن في البيت ولا تحزن فلن نكون بعيدين عن بعضنا، فأرض الأب "غايو" تلامس أرنا وسنلتقي كل يوم. إنني أحب أن أعمل وهذا يسعدني.. كما أنني أطول باعاً منك وسأحضر سراعاً لألقاك عندما انتهي من عملي، وأنت ولا عمل لك ستحضر إلي عندما تتنزه، وسأرتاح عندما أراك في الخارج وأنا داخل البيت. لذا أطلب إليك أن تبقى.

ويعرف الأب "باربو" وهو رجل ذكي أن "لاندري" أ شجع من أخيه وأنه قرر أن يذهب ليعمل ويجني حياته، وفي اليوم الثالث أيقظه أبوه صباحاً دون أن يلامس أخاه الذي يرقد إلى جانبه وقال له بصوت منخفض:

-هيا يا صغيري! علينا أن نصل إلى المزرعة قبل أن تصحو والدتك، إنها لم تقل شيئاً لكنني أدرك أنها تتألم ولا يفيد في شيء أن نراها تبكي وأنت تغادر. سأسير بك إلى معلم جديد. أعطني أشياءك لأحملها عنك.

وفتح "لاندري" باب البيت وغادر دون أن يلتفت وراءه. أما الأم "باربو" فلم تكن نائمة وسمعت كل ما قاله زوجها إلى "لاندري". هي تعلم أنه على حق فلم تنهض، ولكن عندما أغلق الباب تألمت كثيراً ونهضت من فراشها لكي تقبل ابنها... كان عليها أن تسير نحو الباب وأن تمر قرب سرير التوأمين حيث لا يزال "يسلفان" نائماً بهدوء فالولد المسكين بكى طويلاً خلال الأيام الثلاثة الماضية ولياليها فغدا منهكاً حتى كاد أن يصاب بالحمى. فكان يتقلب على فراشه ويئن دون أن يستيقظ.

وقفت أمه وتأملته وأدركت انه من الأفضل أن لا يغادر أسرته وأن "لاندري" فهو أقوى منه وأنه لو أحب أخاه وأسرته كثيراً لأصيب بالمرض وفكرت أيضاً: إنه صبي يفكر جيداً بواجبه ومع ذلك فلو لم يكن في قلبه بعض القسوة لما غادر هكذا دون أن يقول شيئا، دون أن يلتفت، دون أن يبكي، ولجاء إلى قرب سريري لينظر إلي ويقبلني.

- يا له من ولد طيب... ويا لهؤلاء الرجال إنه مازال صغيراً للذهاب إلى العمل وتبديل بيته، أما "سلفان" هذا فله قلب فتاة وهو لطيف جداً. وعادت الأم إلى فراشها.

في هذا الوقت اجتاز الأب "باربو" و"لاندري" المرج من جانب المزرعة حتى بلغا تلة صغيرة إذا نزلوا منها فلا يشاهدون بيوت قرية "كوس" عندها؛ وقف "لاندري" وكان باستطاعته أن يسير خطوة أخرى لكنه جلس ولم يلحظ الأب شيئاً واستمر في السير، وبعد وقت قصير نادى ابنه بلطف وقال له:

- هيا لقد بزغ الفجر يا "لاندري" هيا لنسرع إذا أردنا الوصول قبل شروق الشمس. ونهض "لاندري" وطالما انه قرر أن لا يبكي أما والده لبعض الوقت انحنى نحو الأرض كما لو كان يبحث عن سكينة فوصل إلى المزرعة دون أن يبدي ألمه.

مزرعة "لابريش"

كان الأب "غايو" بغاية السرور لأنهم أرسلوا له العامل الأقوى والأنشط من التوأمين، وأدرك أن هذا لم يتم بدون بعض اللم، إنه رجل طيب وجار طيب وصـــديق للأب "باربو" وممن ث فسوف يقوم بما يجب عليه ليضفي الشجاعة على قلب الشاب. قدم له بسرعة بعض الحســـاء وقدحاً من الخمر دون أن يلحظ احمرار عينيه فقاده إلى أمام الثيران وأراه كيف يســـتطيع أن يربطهما. ولم يكن "لاندري" يقوم بهذا العمل للمرة الأولى فقد ربط الثيران عند أبيه وقادها. أما ثيران الأب "غايو" فهي أقوى من ثيرانهم وأكثر اعتناء بها وقد لاحظ "لاندري" ذلك للوهلة الأولى فأحب أن يقود هذه الحيوانات وأن لا يبدو خائفاً وانه ماهر وأن لا عليه أن يتعلم شـــيئاً جديداً. وحان وقت عودة الأب "باربو" وجاء أولاد الأب "غايو" بنيناً وبنات صـــغاراً وكباراً يقبلون "لاندري" وغرســـت له أصـــغر البنات ورودًا في قبعته. إنه أول يوم عمل له، وكان عيداً لدى الأسرة المضـــيفة، وفي اللحظة الأخيرة قال الأب "باربو":

- لا تنس يا بني أن عليك أن تقوم بما يرضي معلمك، فتعتني بالثيران كما لو كانت ثيراننا. ورد "لاندري": سأقوم بأفضل ما أستطيعه,

وانطلق مباشرة يفلح الأرض يدفع ثيرانه كما يجب ويعود لتناول الفطور. كان جائعاً جداً فعمله متعب نوعاً ما لكن التعب يعمل خيراً لمن هم بعيدون عن أهلهم للمرة الأولى. أما في بيت "باربو" في قرية "كوس" كان الجميع حزانى، عندما صحا "سلفان" ولم ير أخاه لم يفهم كيف سافر أخوه دون أن يودعه وقال لأمه:

- لقد كنت أقوم بكل ما يطلبه مني وطلب مني أن أخفي ألمي عنك، أشـــعر بألم في رأسي لكني لم أبك! ماذا اســـتطعت أن أفعل؟ كان عليه أن يقبلني. لقد وعدني أن لا يغادر قبل أمن يكلمني لكي يمنحني بعض الشـــجاعة وكان علينا أن نتناول إفطارنا معاً مرة أخرى وحيدين في المزرعة كما نفعل عاد.

- كنت أريد أن أساعده في تهيئة أشـيائه وأن أعطيه سـكيني المفضـلة فهل هيأت له أغراضــه مســاء أمس دون أن تذكري لي شــيئاً، كنت تعرفين إذن انه ينوي المغادرة دون أن يودعني. وردت الأم "باربو":

- لقد أطعت بذلك أباك يا بني! وتحدثت بما خطر لها بسرعة كي تخفف من آلام ابنها... لكنه لم يقتنع بشيء فهو يحتاج إلى وقت طويل لكي يدرك أنها كانت تبكي أيضاً فطلب منها أن تغفر له لأنه أضاف ألماً زائداً إلى حزنها ووعدها أن يبقى إلى جانبها. ولكن عندما رأى أنها ذهبت تعتني بالبقرات وتنظف الغسيل لم يجد بداً من أن يذهب يعدو باتجاه "لابريش" دون أن ينتبه. وأوشك أن يصل إليها لو لم يصادف أباه العائد من هناك فأمسك أبوه بيده وعاد معه وهو يقول:

- ستذهب إليه هذا المساء فلا يجب أن تزعج أخاك وهو يعمل، ولن يكون معلمه مسروراً بذلك. ومن ثم فإن والدتك حزينة ويجب أن تبقى إلى جانبها.

التوأمان يلتقيان من جديد

لم يغادر "سلفان" أمه طيلة ذلك اليوم فكان يتصرف معها كما لو كان طفلاً صغيراً، يتحدث إليها عن "لاندري" بشكل دائم ولا يستطيع أن يمنع نفسه من التفكير به باستمرار. كان يغدو ويروح في كل الأماكن التي كانوا يرتادونها معاً ويذهب في المساء إلى "لابريش" مع والده. ويغدو كالمجنون عندما يفكر أنه سيلتقي بأخيه ويتخيل أن أخاه ينتظره على الدرب. كان"لاندري" يتمنى ذلك، لكن أهل البلدة بدؤوا يتحدثون عن حبهما كما لو كان حالة مرضية فخشي أن يسخروا منهما وفضل أن يبقى في المزرعة، يأكل ويشرب على مائدة الأب "غايو" حيث كان "سيلفان" يجده وعندما رآه "لاندري" داخلاً تمنى لو يقفز عن المنضدة ويسرع لتقبيل أخيه بأسرع وقت. لكنه لم يجرؤ على ذلك فمعلمه ينظر إليه باهتمام ويتساءل: كي فسيعبر الأخوان عن حبهما تلك "الصداقة الطيبة" كما يعبر عنها معلم المدرسة في القرية.

ارتمى "سلفان" على أخيه وأخذ يقبله وهو يبكي ويضغطه على صدره كعصفور اندفع إلى عشه ليشعر بالدفء. كان "لاندري" سعيداً لكنه لم يكن مسروراً لأن الآخرين هنا ويشاهدون كيف يتصرف أخوه، فأشار إلى أخيه أن يبقى هادئاً، فنفذ هذا الأمر لكنه بقي ذاهلاً وحزيناً. وأخيراً قدم الأب "غايو" الشراب على الأب "باربو" واستطاع التوأمان أن يخرجا.

أراد "لاندري" أن يقبل أخاه مباشرة لكن العمال في المزرعة ينظرون إليهما من بعيد والصغيرة "سولانج" الشديدة الفضول كانت تتبعهم مسروقة الخطى. لم يفكر "سلفان" أن يشتكي فهو مسرور جداً يسير جنب أخيه وعند عودتهما قال الأب "غايو" إلى "لاندري" أن بإمكانه أن يأخذ يوم الغد عطلة له. وفي صباح اليوم التالي نهض الشاب ووصل إلى "البيسونيير" و"سلفان" لا يزال نائماً عندها صحا شيء ما فيه، قام يفتح الباب حتى قبل أن يلبس حذاءه وأخذ بين ذراعيه.

كان يوماً سعيداً بالنسبة لـ "لاندري" إذ كان مسروراً فهو في بيته وبين أسرته مرة أخرى لأنه يعرف أنه لن يكون فيها دائماً. ونسيـ "سلفان" ألمه حتى منتصف النهار. وكن عند الغداء بدأ يشعر بالأسى لأن "لاندري" سوف يتركه. وكان "لاندري" يعتني به ويهتم فيصنع له طبق (قلب خسته وفاكهته) وسأله إن كان حذاءه لا يؤلمه وإن كان يشعر بالبرد. ولم يدر أنه هو الأحق بالشكوى من أخيه.

أيام حزينة

مضى أسبوع على هذا الشكل، يذهب " سلفان" كل يوم لرؤية "لاندري" فيقف هذا الأخير بعض الوقت ليتحدث مع أخيه وعندما يقوده تحمله إلى جهة "البيسونيير" يعمل بمرح عندما يكون بعيداً عن أهله. أما "سلفان" فكان يغدو تعيساً أكثر فأكثر فهو يعد الأيام والساعات قبل أن يرى أخاه لا يفيده شيء مما يقوله له أبواه.

كان المسكين يزداد حزناً كل يوم، لا يلعب، لا يعمل إلا إذا طلب أحد منه ذلك. إذا قام ينزه أخته الصغيرة فلا يكلمها أو يسري عنها، يراقبها فقط كي لا تقع وينتبه لها كي لا تشعر بالبرد. وعندما لا ينتبه له احد يذهب لوحده يختبئ في مكان كان قد لعب فيه مع أخيه ويشعر بمنتهى السعادة إذا عثر على قطعة خشب قطعها أخوه أو حجر كان أخوه قد ألقاه هناك. فكان يجمعها ويخبئها في حفرة في شجرة كما يتأملها عندما يريد ذلك، فهي تحرك الماضي في رأسه الصغيرة. وكثراً ما كان يرى أخاه أو يسمعه، وإذا نام مرة حيث ينام واستيقظ ولم يجده فيأخذ بالبكاء عندما يرى نفسه وحيداً. وسار مرة طويلاً في الغابة فعثر على قطعة من الخشب بين حجرين كانا قد قطعاها معاً وذكر أنهما دحرجا حجراً كبيراً في آخر يوم أحد قضياه معاً. وكان قد نسيه. فقرر أن يعود إلى هذا المكان مع أخيه "لاندري" في أول مرة يأتي

فيها إلى البيت. وفي اليوم التالي لم يســتطع إلا أن يعود إلى النهر. فماذا رأى؟ بقرات اجتازت الماء ودحرجت الحجر وقطعة الخشــب جرفتها المياه فشــعر أن لا بد مكروهاً قد أصــاب أخاه. فأسرع نحو "لابريش" وفي الطريق فكر أن أخاه لا يريد أن يحضر إليه أثناء عمله، فأخذ ينظر غليه من بعيد دون أن يشعر به أو يراه وعاد على البيت دون أن يكلمه.

ولاحظ الأب "باربو" أن "ســلفان" كلما التقى بأخيه ازدادت رغبته في لقائه. ففكر أن يبعد ابنه لعدة أشـهر في مكان ما عندها يرى "سـلفان" أخاه مرات أقل... ولا يراه غلا قليلاً فيعيش مثل بقية الأطفال. أما الأم "باربو" فليســت مع هذا الرأي وقالت أن "ســلفان" قد يموت... ولم يدر الأب "باربو" ماذا سيفعل.

وعندما عاد "لاندري" أخذ أخاه ليريه الثيران والبقرات الرائعات والخراف الجميلة والحقول المحروثة جيداً. فالشــاب يحب كل هذا لأنه يحب الأرض والحيوانات والريف. يحب أن يرى الخيول القوية النظيفة التي يقودها إلى حظائرها لترتاح. فهو لا يؤدي عملاً ناقصاً بل يعمل أفضل ما يستطيعه. تأمل "سلفان" كل هذا وأعجب باهتمامات أخيه وقال:

- هل تحب حقاً هذه الحيوانات؟ إن ثيراننا ليســت بهذا الجمال لكنها تحبك وتقودها بشكل أسهل من أبيك. ولم تسأل عن بقرتنا الرائعة التي تمنحنا لبناً طيباً، إنها تنظر إلي الآن نظرة حزن عندما احمل لها طعامها. هي تشعر أنني وحيد، وتكاد تسألني: أين أنت؟ فقال "لاندري":

- حقاً إنها بقرة طيبة، لكن هؤلاء ينتجن كميات أكبر من اللبن.

- قد يكون هذا صحيحاً، لكن الأعشاب في مروجنا هي الأفضل وحليب بقرتنا "برنيت" هو الأفضل أيضاً.

- أنت مخطئ في هذا... فقد بدل والدنا مروجنا القريبة من الماء بمروج الأب "غايو" بكل سرور. فرفع "سلفان" رأسه ورد:

- أعرف جيداً أنها مروج سيئة في الربيع ولكن في الصيف فالعشب متوفر وينشر عبيراً طيباً عندما نقصــه. الولدان يعرفان أن لا مروج أفضــل من مروجهما لكن... واحد منهما مسرور لأنه يعمل ويعيش وآخر طفل لا يريد سوى أن يبقى مع أخيه. وبينما كانا يتحدثان قطع "لاندري" غصناً يابساً من إحدى الشجرات واقتلع بعض الأعشاب الضارة يضايق

الخضار المزروعة. فكان "سلفان" يريد أخاه "لاندري" أن يفكر به لا أن يفكر في خدمة معلمه فقال:

- لقد بقيت طويلاً عندك!!

ودهش "لاندري" ولم يفهم ماذا يقصد أخوه لكنه تألم وسأله عما يقصد.. لكن هذا لم يجب أبداً.

اختفاء "سلفان"

لكن "سـلفان" لا يحب الأولاد الذين يعملون في مزرعة "لابريش" وعندما يرى "لاندري" يهتم بالصغيرة "سولانج" يقول أن "لاندري" نسي أخته الصغيرة "نانيت" رغم أنها أجمل وأذكى من هذه البنت. وعندما يحضر "لاندري" على "البيسـونيير" ويهتم بأخته "نانيت" كان يقول له: أنت لا تهتم إلا بها. وبدا أن "لاندري" لم يكن سعيداً برؤية أخيه في أغلب الأحيان وأخذ يحاول وبمنتهى اللطف أن يجعله يدرك أن الحب القوي جداً يمكن أن يصبح شراً مما جعل "سـلفان" يظن أن أخاه قاسٍ جداً معه حتى بقي المسكين أسابيع لم يذهب فيها إلى "لابريش" فلم يعد يسر برؤية هذا الأخ الذي يحبه كثيراً.

كان "لاندري" ماهراً بكل الألعاب ويرغب بتمضية أيام الآحاد مع رفاقه في مزرعة "لابريش" لكنه كان يغادرهم ليذهب إلى "البيسـونيير" فهناك لا يستطيع الخروج من المزرعة لكي يذهب للهو في ساحة "كوس" أما "سلفان" فكان طفلاً جسماً ونفساً، لا يفكر إلا في الذهاب إلى أماكن لعبهما -كما يقول- إلى الأماكن التي لعبوا فيها بألعاب لا تناسب عمرهما الحالي. أما "لاندري" فهو يفضل الآن أن يقود دستة من الثيران وأن يلهو مع كلب صغير وأن يعدو مع الأقوياء، وان يمشي الهوينى في الغابة ويراقص الفتيات. رآه مرة يرقص في "لابريش" فاستولى عليه الغضب، وبعد انتهاء الرقص قبّل الفتاة بمنتهى اللطف وهي بنت الأب "غايو" حتى كاد يبكي. وفي يوم الأحد التالي عندما عاد "لاندري" وبدوره وبدلاً من أن يقول لنفسه – كما اعتاد أن يفعل- إنني بصحة جيدة وإنني أقل لطفاً من أخي فكر اليوم أن أخاه هو الذي أخطأ... وهو لا يريد أن يقول له أنه رفض الذهاب مع رفاقه لصيد السمك... جاء إلى المزرعة ليرى أخاه.

وســمع صــوتاً كانت أمه تبكي أيضــاً وتتكلم لوحدها كما تفعل فلاحات القرية عندما يشعرن بالحزن، وقالت:

- يا لهذا الولد الذي يسـبب لي المتاعب، سـيجعلني أموت من الهم, وسـألها "لاندري" وهو يقبلها: هل أنا من ســـبب لك المتاعب؟ إن كنت أنا فعاقبيني ولا تبكِ. عندها عرفت الأم أن قلب "لاندري" ليس مثل قلبها وقد حدست ذلك منذ زمن فعانقته وقالت له:

- إنه "ســلفان" الذي يســبب لي الألم، لقد فقد هذا الصــبي عقله فقد رحل دون أن يتناول طعاماً، وشـوهد ظهراً عند شـاطئ النهر، وأنا خائفة مما قد يسـتطيع أن يقوم به... وفكر "لاندري": قد أكون قاسـياً في بعض الأحيان لكن "سـلفان" مريض إذ يسـبب كل هذا الأسى لوالدته المســـكينة. وغادر يبحث عن أخيه. بحث في كل الأماكن ولم يعثر عليه، ناداه طويلاً ولم يجب، سـأل عنه كل الناس فلم يسـتطع أحد أن يجيبه. ووجد نفسـه أخيراً أمام حقل "الجونسيير" الذي كان "سلفان" يحبه أكثر من بقية الأماكن. وكثيراً ما ساروا في الأدغال على شاطئ النهر وقطعوا أغصاناً من الأشجار وصنعوا بها شبه غرفة صغيرة. دخل "لاندري" إليها على أمل أن يكون أخوه قد مر بها قبل أن يلقي بنفســه في ماء النهر لينتحر. وصــاح: "سلفان" "سلفان" لكن أحداً لم يجب.

خرج منها وراح ينظر إلى الأعشـــاب الطويلة بقرب الماء وعلى الأرض فرأى آثار قوائم الكلب: لقد مر من هنا... وجرى، واســتلقى! على جانب النهر رأى آثار أقدام! يا إلهي ماذا يكون قد حصل له؟ وتراخت ساقاه فركع على ركبتيه وكأنه يطلب عوناً من الله، وبقي هكذا بعض الوقت وقد خانته قواه وشـــجاعته وراح يتطلع إلى النهر وكأنه يســـأله: ماذا فعلت بأخي؟

كان الماء يجري بهدوء يحرك الأغصان المتدلية فوقه ويتابع طريقه وهو يحدث صوت خرير كأنه يسخر منه. وخطر لـــ"لاندري" أن يذهب ليسأل "فاديت" الأم التي تقطن قرب "الجوذسيير" نقابل طريق يصل إلى النهر ثم يتجاوزه. امرأة ليست غنية لكنها تعرف الكثير إذ يأتي الناس من بعيد يسألونها النصيحة، كانت تشفي المرضى وتبيعهم الأدوية ويقال أنها تسـتطيع أن ترد المفقود ويقال أنها سـاحرة حقاً. وتسـاءل "لاندري" وهو يعدو نحو بيتها: هل تستطيع يا ترى أن تجد لي "سلفان"؟

أما الأم "فاديت" فلم تنس أن الأب "باربو" فضـــل عليها القابلة عندما أنجبت الأم التوأمين، لذا عاد "لاندري" ولم تقل له شيئاً.

رجع الصـــبي نحو الماء إلى المكان الذي تصـــور انه رأى آثار أقدام أخيه فيه وآمن أنه يمكن أن يلقي بنفســـه في الماء في هذا المكان العميق جداً وشـــديد الخطورة إذا اقتضـــت الضرورة ذلك. وفي الوقت الذي كاد فيه أن يقرر شعر بيد تلامسه لمنعه، التفت ليرى الابنة الصغيرة للأم "فاديت": فاديت الصغيرة كما يدعونها في البلدة، لأنهم يتصورون أنها تعرف أشياء كثيرة كجدتها وأنها لا تخاف من شيء. ساخرة وضاحكة ورشيقة كأنها قطة أو عصفور، ترتدي ثياباً رديئة كأنها صبي ماكر. اسمها الحقيقي "فرانسواز" وتدعوها جدتها "فانشون".

أما التوأمان فلم يكلماها أبداً ولم يشاركاها أو أخوها في اللعب وكان صبي أصغر وأكثر نحولاً من أخته وله ساق أقصر من ساق. أما "فاديت" الصغيرة فلم تكن تخشى الكلام مع التوأمين وأن تضحك وتسخر منهما.

سأحضر ولكن عدني أن تنفذ ما سأطلبه منك

إذن... التفت "لاندري" ليرى "فاديت" الصغيرة وراءه ومن خلفها أخوها الصغير الذي يتبعها دائماً. أراد "لاندري" أن يتابع طريقه لكنها نقرت على كتفه من جديد وهي تقول:

- ما أسوأك من توأم!! نصف صبي فقد نصفه الثاني.

التفت "لاندري" وأرسـل إليها لكمة بقبضـة يده. فقفزت إلى الجانب الآخر، وأصـابت لكمته شجرة كبيرة هناك. فغضب وصاح بها:

- أيتها البنت الملعونة كيف تسـتطيعين أن تسـخري من شـخص حزين؟ كم أتمنى لو أقسمك إلى أربعة أجزاء أنت وأخيك لتكونا حطباً سيئاً للنيران.

- آه... يا للتوأم الجميل في "البيســونيير" و"الجونســيير" والغرفة الصـغيرة إلى جانب النهر. إنك غبي عندما تسيــء إلي فقد أتيت لأعطيك أخباراً عن أخيك وأقول لك أين تجده. ورد "لاندري":

- لقد اختلف الأمر الآن... فقد عاد إليه وعيه.

- إن كنت تعرفين مكانه فعليك أن تذكريه لي.

- إنني لست هنا فاديت" لم تعد هنا. لقد أردت أن تضربني وكدت أن تقتلني لأنك لست ماهراً. اذهب وابحث وحدك ن نصفك الثاني. أدار "الاندري" ظهره لها وتابع طريقه وهو يقول:

- مل أغباني لأنني أصغيت لك. أنت لا تعرفين أكثر مني أين هو أخي فأنت ابنة جدتك؛ عجوز كذابة.

- بدوني لن تجد أخاك أبداً.

- وفقد "الاندري" شجاعته وتابع طريقه نحو "البيسونيير" وبقيت "فاديت" تتبعه حتى بلغ المقفز عند أول "البيسونيير" فقفز "الاندري" وصعدت "فاديت" على قطعة خشب فوقفت وقالت له:

- عم مساء أيها التوأم بدون قلب تترك آخاك خلفك. يمكنك أن تنتظره على العشاء.

- لن تراه هذا المساء ولا في الغد فهو لا يتحرك، وها هي العاصفة توشك أن تهب فيحمل النهر الشجار وعندما يمر فستحمله هو أيضاً ولن تجده أبداً.

لم يصدق "الاندري" ما قالته الفتاة لكنه شعر ببرودة تسري في جسده فتوقف وقال لها:

- يا "فانشون" دعيني بهدوء. وإن كنت تعرفين شيئاً فقوليه. فقالت:

- ماذا تعطيني لو دللتك عليه قبل أن يهطل المطر؟

أراد "الاندري" أن يتابع طريقه ولكن الرياح عصفت وأطاحت بأوراق الأشجار وقصف الرعد وملأ السماء. وظن "الاندري" وهو لا يخاف أن هناك شيء غير طبيعي، فهو لشدة اهتمامه بأخيه لم يلحظ اقتراب العا صفة وغدت الـ سماء مظلمة تماماً وتـ ساءل عما يمكن أن يحصل.

كان شعر الفتاة المناحلة يحيط بوجهها وبدت وقد وقفت على المقفز أكبر من عمرها بمقدار الضعف. والتفت إلها "الاندري" وقد شعر بالخوف ثم وقف وقال لها:

- يا "فانشـــون" إذا هديتني للعثور على أخي أعطيك كل ما تطلبينه. كوني فتاة طيبة فأنا لا أدرك لماذا يسرك أن تسببي لي الألم.

- ولماذا أكون فتاة طيبة، فأنا لم ا سبب لك أي سوء، وأنت لم تقل لي إلا كلمات سيئة. ولم يكن أخوك أفضل منك إذ كان يرشقني بالحجارة.

- إذن ماذا تريدين يا "فاديت" أعطيكه. هل تريدين موسي الجديد فقالت "فاديت" دعني أراه! وبقفزة واحدة غدت إلى جانبه تنظر إلى الموس. رغبت فيه برهة ثم وجدت أنه قليل جداً.

- لا... لا أريده، أريد دجاجتك البيضـــاء الصـــغيرة التي يســـتر الريش حتى أطراف أصابعها.

- لا أ ستطيع أن أعدك بالدجاجة البيضاء لأنها لوالدتي، لكن أعدك أنني سوف أطلبها منها لأجلك. فهي لن ترفض لو كان "سلفان" في خطر.

- لو رغبت بعنزتك ذات الأنف الأسود هل ستعطينيها الأم "باربو"؟

- آه يا رب، كم تسـتغرقين طويلاً من الوقت حتى تقرري يا "فانشـون" لو كن أخي في خطر وقدتني غليه الآن وبسرعة فلا يوجد لدينا دجاجة أو عنزة نرفض أن نقدمها لك.

- إذن سنرى ذلك يا "لاندري"

قفزت "فاديت" على الأرض ومدت يدها الخشـــنة إلى "لاندري" الذي امســـكها وهو يرتجف قليلاً، وتابعت "فاديت" حديثها قائلة:

- لن أقول لك الآن ما أريده منك، فانا لا أعرفه حتى الآن. ولكن لا تنس أنك إن لم تقم بما أطلبه منك فسأقول ذلك لكل الناس. سأغادرك الآن ولكن لا تنس أنني سأحضر ذات يوم وتفي بوعدك. قال "لاندري" وهو يمد يده بدوره: ســـأفي بوعدي حتماً. فقالت وهي مسرورة:

- حسناً انزل الآن مباشرة نحو النهر وانزل هناك، سترى خروفاً صغيراً في البدء ثم ترى أخاك. وأمسكت أخاها الصغير تحت ذراعها واختفت. ولم يتساءل "لاندري" فيما إذا كانت تسـخر منه فأسرع إلى النهر من خلال "الجونسـيير" حتى وصـل إلى المكان الذي لاحظ فيه آثار أقدام أخيه فمشى.. وسمع صوتاً:

- يا إلهي... إنني أسمع صوت خروف. إن أخي هنا حياً أو ميتاً ودخل إلى الدغل وسار إلى جانب النهر فشاهد الخروف من بعيد وشاهد أخاه حياً وبصحة جيدة.
توقف... وتنفس الصعداء ذاهلاً ومسروراً إذ أنه عثر عليه

ما يشكو منه... كأنه المرض

يبلغ عرض النهر ٤-٥ أمتار وهو عميق جداً... و"لاندري" ليس ماهراً وسط الماء كما هو على اليابسة، إنه يعلم أنه لا يستطيع العبور و"سلفان" لم يره بعد لذا كان لديه الوقت الكافي للتعبير في طريق توصله إليه وبعيدة إلى البيت حتى لو أنه قد قرر أن لا يعود إليه؟

وتساءل كيف سيتصرف أبوه؟ إنه سيمسك يديه بهدوء دون أن يقول له شيئاً. وألقى "لاندري" غصناً كبيراً في الماء فسمع "سلفان" الصوت ونهض مسرعاً وتظاهر "لاندري" بأنه يراه الآن فقط، فقال لـ"سلفان": أنت هنا؟ لقد انتظرتك طويلاً هذا الصباح لذا جئت لأتنزه وحيداً في هذا المكان. لقد توقعت أن أجدك في البيت، لكنك الآن هنا. سننزل النهر كل منا من جانب حتى مقابل بيت الأم " فاديت" وأنت تعلم أن هناك يمكننا أن نجتاز النهر دون حتى أن نبلل أقدامنا.

وحمل "سلفان" خروفه الصغير بين يديه وقال: هيا نسير. ونزلا نحو النهر دون أن يتبادلا النظر خشية أن يظهر عليهما الألم الذي شعرا به ولا الفرح بلقائهما. أما "لاندري" فكان يتكلم وهو يمشي كي لا يظن أخاه أنه غاضب منه وسأله:

- أين وجدت هذا الخروف؟

ولم يجب "سلفان" فالمكان بعيد جداً ولا يعرف أسماء الأماكن التي مر بها. وتابع "لاندري":

- ستحدثني عن ذلك فيما بعد فالريح شديدة وعلينا أن لا نبقى تحت الأشجار على طول النهر. وبدأت الأمطار تتساقط فقال "لاندري":

- حتماً إن "فاديت" قالت أنني سأعثر عليه قبل هطول المطر، هذه الفتاة تعرف أشياء أكثر مما نعرف. أما " سلفان" وهو لم يكذب أبداً في حياته ولم يكتم شيئاً عن أخيه فتساءل عما سيحدث به، وماذا سيقول له أبواه.

وبعد أن اجتازا النهر أخذ " سلفان" يبكي دون أن يقول شيئاً فأمسك أخوه بيده وقال له: المطر يهطل بشدة لنسرع على البيت. تقدم السير وحاول "لاندري" أن يضحكه... وعندما وصلا إلى البيت كان "سلفان" خائفاً من أبيه وأراد أن يختبئ بالأهراء، لكن الأب "باربو" لا يأخذ الأشياء بالكثير من الجدية مثل زوجته. فالأم "باربو" تحاول أن تخفي الخوف الذي شعرت به، أشعلت ناراً قوية لتجفف بها ثياب التوأمين وتعد العشاء لكن " سلفان" أدرك كم كانت تبكي فكان ينظر إليها بخجل شديد من حين لآخر. ولو كان وحيداً معها لطلب منها الصفح ولقبلها حتى تبتسم، لكن الأب "باربو" لا يحب هذا النوع من الضعف.

و" سلفان" المنهك والمتعب اضطر أن يذهب لينام بعد العشاء مباشرة وفي الغد أسرع إلى سرير أمه قبل أن تستيقظ واسر لها أنه تعيس جداً ويظن أن أخاه "لاندري" لا يحبه. وسألته أمه عما يسبب له هذه الأفكار، لكن الشاب لم يستطع أن يعبر لها عن ذلك... كان ذلك مرضاً لا يستطيع دفعاً.

التوأمان ينسيان

بعد عدة أشهر بدأ "سلفان" يحب أخاه بمزيد من التعقل فتحسنت صحته واسترد قواه واكتسب مزيداً من النمو. وأبوه أخذ يوكل إليه مزيداً من العمل مما قلل له وقت التفكير. أما "لاندري" فقد غدا أكثر قوة وأكبر حجماً من أخيه، وغدا من الممكن ملاحظة الفروق بين التوأمين، وقل التشابه. وعندما بلغ سن الخامسة عشر غدا "لاندري" شاباً رائعاً. أما "سلفان" فقد بقي صبياً جميلاً ناحلاً واقل لوناً من أخيه. فلم يعد المرء يخلط بينهما، فصارا يتشابهان كأخوين وليس كتوأمين متماثلين للوهلة الأولى. وبدا "لاندري" انه يكبر أخاه بسنة أو سنتين. أما الأب "باربو" فهو يحب الشبان الوسيمين -على عادة أهل الريف- لذا كان "لاندري" هو المفضل لديه.

وبعد مضي بعض الوقت تذكر هذا الأخير الوعد الذي قطعه لـ"فاديت" الصغيرة وأخذ يتساءل: ماذا ستطلب منه؟ وماذا ستأخذ من مزرعة "البيسونيير"؟ هل ستأخذ أفضل ما فيها؟

سوف يطردها أبوه ويسخر من وعود قطعها "لاندري" أما "لاندري" فإنه قد وعد!

ودهش "لاندري" لأنه لم ير الفتاة في اليوم الثاني ولا في الشهر الثاني ولا في كل الموسم فلم يعد أحد يذكرها في "البيســونيير" ولا في "لابريش" ولم تظهر أمام الأب "باربو" ولم تطلب أن تكلمه فإذا رآها في الحقول فلا تقترب منه ولا تبدو أنها تنتبه له بل تعدو وراء الكل... يدفعها فضولها الكبير، تحب أن تلعب وأن تضحك وأن تسخر. أما بيت "فاديت" الأم فهو مجاور لـ"لابريش" و"كوس" ولا بد من يوم يلتقي بها وجهاً لوجه، وإذا كان الدرب ضيقاً فلا بد من كلمة يتبادلانها وهما يمران. وفي إحدى الأمسيات كانت "فاديت" الصغيرة عائدة بخرافها يتبعها أخوها عندما شاهدت "لاندري" يعود إلى "لابريش" ويقود حصانين فالتقيا على الدرب الضيقة النازلة نحو النهر. واحمر وجه "لاندري" إذ خشي أن تتذكر وعده لها. فعندما رأى الفتاة قفز على أحد الحصــانين وأدار وجهه وعندما عاد لينظر أمامه من جديد كانت "فاديت" قد اختفت.

لم توجه له أي كلام ولا يعرف إن كانت قد تطلعت إله أم لا. ولم ير إلا "جافيت" الخبيث الذي التقط حجراً وألقاه بين قائمتي الحصان ليرعبه. لم يحاول "لاندري" أن يقول له شيئاً خشية أن يضطر للوقوف وشرح الأمر لأخته فتابع طريقه دون أن يلتفت إلى الوراء.

والتقى بها مرة أخرى وكان الوضع نفسه كالمرة السابقة. وما أدهشه أنها كانت تدير وجهها للجهة الأخرى كما لو كانت تشعر بالخوف نفسه الذي يشعر به وظن "لاندري" أنه قد أخطأ لأنه لم يشكرها على الأقل وقال في نفسه: سأتحدث إليها في المرة القادمة.

في هذا الوقت مشى عشر خطوات نحوها ليسلم عليها، فنظرت الفتاة إليه طويلاً من رأســه حتى أخمص قدميه دون أن تتوقف. كانت تلك المرة الأولى التي يراها فيها عن كثب في هذه السنة واعتقد أنها لن تغفر له عدم شكره لها. فـــ"فاديت" ليست طفلة كبقية الأطفال فهي لا تخاف أحداً مستعدة دائماً أن تسخر، واثقة من نفسها تستطيع دائماً أن تجد الرد المناسب. وكما يقال: إن عليها وهي في الخامسة عشر من عمرها أن لا تتصرف كصبي

خبيث. أما مع "سلفان" فهي لا تضطرب أبداً وتتبعه عندما تلتقي به، تشكو له أن "لاندري" لا يحبها. كان سلفان" يكرهها ويرد عليها وهو يرميها بالأحجار. ومر الزمن...

وغدا التوأمان في مقت تمضي فيه الأسابيع كالأشهر والأشهر كالسنوات، تتغير فيه النفوس والأجسام بسرعة كبيرة. ونسي "لاندري" ماذا حدث له ذات يوم عند مقفز المرج. وجاء أيلول، ومازال في "لابريش" منذ عشرة أ شهر، والأب "غايو" مسرور منه دائماً وقرر أن يزيد في أجره كي يحتفظ به، فكان "لاندري" مسروراً بعمله قرب "البيسونيير" ويعجب كثيراً بإحدى قريبات الأب "غايو" وتدعى "مادلون" شابة رائعة الجمال تكبره بعام واحد.

تحدثت معه بادئ الأمر كما تتحدث مع طفل، ولكنها تحسنت بالتدريج. وفي أول العام سخرت منه لأنه لم يقبلها بعد أن رقص معها. أما الآن فقد غدت تخجل منه ولا تبقى وحيدة معه.

و"مادلون" ليست فقيرة والزواج بها قد ينتظم بسهولة فلا يتكلم أحد عن إحدى العائلتين بسوء. وقال الأب "غايو" وقد لاحظ ما يجري للأب "باربو""

- إن هذين الشابين يمكن أن ينجبا أبناء طيبين، ولا يضير أن ندعهما يعملان علاقات طيبة ومعرفة طويلة وتم الاتفاق على ذلك وبقي "لاندري" في "لابريش" و"سلفان" في البيت عند أهله.

وعاد الوعي إلى هذا الأخير، فغدا نافعاً في العمل بالأرض، وغدا الأب "باربو" معرضاً لأن يصاب بالمرض فيحتاج لمن يعينه، ومضت الأيام بشكل رائع لعدة شهور حتى حل عيد القرية "كوس" فكانت الألعاب والرقصات. فذلك اليوم هو عيد كبير بالنسبة للتوأمين... ولكن للأسف.. كل شيء قد يتغير... وبرزت هموم جديدة تنتظر التوأمين.

كل "فاديت" لها فاديها

غادر" لاندري" قبل العشاء وكان مسروراً لأن "سلفان" لا ينتظره إلا في الغد وسيكون فرحاً لأنه سيقابله قبل يوم من الموعد. في ذلك الوقت الذي تغدو فيه الأيام قصيرة ويهبط الليل بسرعة، لم يكن "لاندري" يخاف في النهار، أما في الليل فهو لا يزال صغيراً ويحدث الشيوخ عن أموات يتجولون في الضباب... والآن الضباب كثيف، وقد اعتاد أن يخرج في الليل أو في الصباح قبل الفجر يقود ثيرانه ويعيدها إلى أماكنها.

في هذا المساء، وهو يخرج من البيت، لم يتساءل أبداً مثل بقية الأمسيات. كان يمشي مسرعاً ويغني بقوة، فالوقت مازال ليلاً... ويقال أن صوت الإنسان يزعج الحيوانات الشريرة والناس الأشرار. وعندما وصل إلى المكان الذي عليه أن يجتاز النهر رفع أطراف بنطاله لأن النهر قد ارتفعت مياهه قليلاً بسبب المطر، وعليه أن يسير بخط مستقيم كي لا يسقط في الحفر العميقة التي توجد في الجهة المقابلة... فلم يصعد كثيراً نحو اليسار حيث العديد من الحفر.

لم يشعر أبداً بأي خوف فهو يعرف النهر جيداً ويرى من خلال الأشجار ذلك الضوء الصغير يبدو من بيت الأم "فاديت".

كان يسير باتجاه الضوء ويعرف أنه لن يخطئ. كان الظلام يسود تحت الأشجار، وقدر "لاندري" عمق المياه ودهش لأنه رآها أعمق بكثير مما يظن، وتقدم رغم ذلك ولكن بعد خطوتين تقريباً طالت المياه ركبتيه فظن أنه أخطأ الدرب وعاد أدراجه... حاول أن يسير نحو مرتفع أعلى قليلاً أو أن المياه أكثر انخفاضاً لكنه رأى المياه أعمق. ولم تكن الأمطار قوية في ذلك الحين فكيف حدث ذلك؟ ظهر "لاندري" انه أخطأ الطريق فقال في نفسه: في هذا الليل وعلى بعد ثلاثمائة متر من هنا! كان علي أن أمشي بخط مستقيم بدلاً من أ سير على اليمين. إن ضوء الأم "فاديت" هو على يميني الآن، وكان يجب أن يكون على يساري. وعاد يصعد في الطريق حتى وصل إلى "كروا أوليفيير" أغمض عينيه ودار دورة ليتأكد من أنه وصل أخيراً وأنه لن يسير مرة أخرى في الاتجاه الخاطئ. فتح عينيه وحملق في الظلام فتعرف شيئاً فشيئاً على الأشجار والأحراج، وتابع سيره بعد أن تأكد أنه على الدرب الصحيح.

ها هو أمام النهر من جديد و سيعبره، كانت قدماه لا تزالان في الماء عندما توقف رأى خلفه ضـــوء بيت "فاديت" الأم، هذا النور الذي يجب أن يكون أمامه مباشرة. غير اتجاه ســيره فغدت المياه تطول خاصرته وظن أنها إحدى الحفر وســيخرج منها لو ســـار باتجاه الضـــوء. وأحس فعلاً عندما توقف فالحفرة أخذت تزداد عمقاً ووصـــلت المياه الباردة إلى كتفيه فقال في نفسه:

- علي أن أعود أدراجي...

وبدا له أن الضوء يغير مكانه ويتحرك فيغدو وينتقل من مكان لآخر من النهر، وتوهم أنه يرى نيراناً من كل جهة حوله وصوت كأنه صوت بترول يحترق (يشتعل).

عندما شـــعر "لاندري" بالخوف يســـتولي عليه، وتذكر ما تقوله العجائز عن النيران المتنقلة التي تحاول أن تجذب الأحياء إلى أعمق نقطة في النهر، أغمض عينيه لكي لا يرى وا ستدار ليخرج من الحفرة فوجد نفسه على شاطئ النهر. ارتمى فوق العشب وأخذ يتأمل النار وهي تتراقص وتتطاير كما لو كانت عصفوراً، تختفي أحياناً وتتضخم وتكبر أحياناً أخرى حتى لتغدو كرأس ثور، وتتصاغر أحياناً حتى لتصبح كعين القط. تسرع أحياناً نحو "لاندري" وتدور حول رأســه حتى يضـطر لإغماض عينيه، وعندما تغدو وســط الأعشــاب تدخل إلى الأحراج وتتوضع فوق جذوع الأشجار الميتة. فلم يحرك "لاندري" أي عضو من جسمه لأنه لو ســـار فســوف تتبعه النار وهذا أمر معروف فهي تجري وراء من يجري، فتعترض طريقه لتفقده عقله ويسقط. شعر الشاب بالخوف والبرد عندها سمع من خلفه صوتاً صغيراً عذباً يغني: فاديت فاديت الصغيرة.

لدي رداء في محفظتي خذه وأطفئ هذه النار المجنونة

ها هي "فاديت" الصغيرة تتقدم نحوه بلا وجل أو اندهاش وهي تحاول اجتياز النهر. التقت قدمها بـ "لاندري" فسقطت، فقال "لاندري" وهو ينهض"

- هذا أنا يا "فانشون" لا تخشي شيئاً فلست عدوك! قال ذلك وهو خائف منها كما خاف من النار المجنونة التي أخذت تتراقص أمامها كما لو كانت مسرورة برؤيتها. وبعد فترة من الصمت ردت "فاديت":

- لأول مرة تبدو لطيفاً معي أيها التوأم الجميل، وما ذلك إلا لأنك تكاد تموت رعباً. ويبدو صوتك كصوت جدتي. يا للصغير المسكين إنك تبدو في الليل أقل شجاعة منط في النهار، أنا واثقة أنك لن تستطيع اجتياز النهر بدوني.

- أجتاز النهر؟ لقد حاولت ذلك ولكن ظننت أن النهر سيحملني، فهل ستعبرينه أنت يا "فاديت"؟ ألا تخافين أن تسقطي في الحفر في هذا الليل.

- ولماذا سأسقط؟ أنا أعرف ما الذي أخافك. هيا أعطني يدك أيها الخواف الكبير. إن هذه النار ليست شريرة كما تظن. إنها لا تؤذي إلا الذين يفقدون صوابهم. لقد اعتدت عليها ونحن نعرف بعضنا.

قالت ذلك بقوة لم يكن ليصدقها وأمسكت "لاندري" بيده وسحبته نحو النهر وهي تغني:

فاديت فاديت فاديت الصغيرة

عندي رداء في محفظتي خذه وأطفئ النار المجنونة

فكل فاديت لها فاديها

وكان "لاندري" يخاف من "فاديت" كما خاف من النار لكنه تركها تجره. فقفزت من حجر إلى حجر دون أن تبل قدميها ولم تعط اهتماماً لتلك النار الصغيرة التي تتراقص خلفها على شاطئ النهر حول جذوع الأشجار القديمة الميتة.

غداً... عليك أن تفي بوعدك

كانت يد "لاندري" ترتجف باستمرار في يد "فاديت" الصغيرة. وعندما اجتاز النهر قالت له:

- أيها الحيوان الكبير... إن هذه النار لا تحرق. وفكر "لاندري":

- نحن نعرف أن النار تتحرق، ولكن النار التي لا تحرق فهل أتت من عند الله وكم تمنى لو يعدو باتجاه "البيسونيير" دون أن يجيب "فاديت" الصغيرة. وطالما أنه صبي مهذب فلم يشأ أن يتركها دون كلمة شكر فقال:

- لقد قدمت لي خدمة جلّى يا "فانشون" "فاديت" وللمرة الثانية. وسأكون خبيثاً إن لم أقل أنني سأظل أذكرها طيلة حياي. كنت مثل من فقد عقله عندما وجدتني، لقد سمعتهم يتحدثون عن مثل هذه النار وقيل لي أنها توجد في مثل هذه الأماكن لكني لم أرها في حياتي، كما أنني لم أستطع عبور النهر. كنت سأنام هنا بثيابي المبللة، فأجابته:

- كان بإمكانك أن تعبر بدون تعب أو خطر لو لم تكن أحمقاً، فماذا يفيدك أن تكون قوياً وبعد عدة أشهر ستنبت لك لحية في ذقنك.. رغم ذلك فأنا مسرورة لرؤيتي لك على هذا الشكل!

- ولماذا ذلك يا "فانشون" "فاديت"؟

- ذلك لأنني لا أحبك.

- ولماذا لا تحبينني؟

- ذلك لأنك أنت وأخوك التوأم وأبوك وأمك أغنياء تظنون أنا نحن الآخرين واجبنا أن نخدمكم. لكن حسن أن تكونوا أغنياء لكن أن لا تحبوا الآخرين لأنهم فقراء فهذا شر كبير أكبر من أن تكون خوافاً. واحمر وجه "لاندري" وقال:

- إنها غلطتي يا "فاديت" ليس أخي عندما هرب من البيت. أما الآن فسوف يفهمون وستحصلين على كل ما تريدينه.

- آه... لا زلت كما أنت! تظن أنه بالدراهم يمكن أن يعالج كل شيء ويمكن أن يشكر الآخرون. وأن كل شيء قد انتهى. أنا لا أريد دجاجة ولا خروفاً ولا شيء من عندكم، أنتم لم تخاطبوني منذ ما يزيد عن عام كامل ولا كلمة صداقة واحدة لأنني شفيتكم من ألم عميق.

ونظرت "فاديت" إلى "الاندري" من رأسه إلى أخمص قدميه وأدارت له ظهرها وأخذت طريق بيتها وهي تغني:

- خذ رأسك وخذ رزقتك

- "الاندري" "باربو" هو النار المجنونة

شعر "الاندري" بالغضب وكان حزيناً أيضاً لأنه لم يقم بما يجب عليه تجاه هذه الفتاة فراح يعدو خلفها ويشدها من ثوبها ويقول لها:

- لنرَ يا "فانشون" "فاديت" هناك أمر يجب أن ينصلح بيننا فلست مسرورة مني ولست راضياً عن نفسي. أريد أن أعرف ماذا تريدين، ولا أبعد من الغد، وسأحضره لك لكي تكوني مسرورة.

- إن فرحي هو أن لا أراك أبداً وإن أحضرت شيئاً لي فسأرميه في وجهك.

- يا لها من كلمات قاسية جداً بالنسبة لإنسان يريد أن يصلح غلطته. فإن لم ترغبي بشيء معين أستطيع أن أسدي لك بعض الخدمات لأدلل لك أننا نريد بك الخير لا الشر. هيا قولي لي ماذا يمكنني أن أفعله من أجلك.

توقفت "فاديت" وردت:

- يمكنك أن تطلب مني السماح وأن ترغب في أن أكون صديقتك. وفكر "الاندري": لا بد أنها فتاة ذكية أكثر منها طيبة، فهي وإن كانت في السابعة عشر تستمر في السخرية والضحك كما يجب أن لا تكون كذلك. وإن تصرفاتها لا ترضي حتى من يريدون تسلية، فشعر بالارتباك وقال:

- الصفح... إنه مطلب كبير... أنا لن أكون صديقك فهذا صعب بالنسبة لي ولا أضمن أنني أستطيع الاستمرار فيه، فأنت لا تتصرفين مثل بنات بلدتنا.

- إذن سيكون الأمر كما شئت أيها التوأم الجميل. قدمت لك اعتذاري فرفضته إذن لا تنسى ما وعدتني به، في اليوم الذي أعطيك فيه أمري ستنفذ، وهذا اليوم لن يكون بعيداً. في الغد في كنيسة "سانت الزوس" وما أريده هو أن تراقصني ثلاث مرات قبل الفطور ومرتين حوالي الساعة الرابعة ومرتين حوالي الساعة السادسة... طيلة ذلك اليوم حتى الغروب ولا تراقص أحداً غيري فتاة أو سيدة. عم مساءً. سأنتظرك غداً أمام باب الكنيسة لكي نفتتح الرقص في الساحة الكبرى... إلى اللقاء.

ودخلت مسرعة إلى بيتها وأغلقت الباب بسرعة كبيرة فلم يستطع التوأم أن يجيبها.

سنرى من سيسخر من الرقصة التي اخترتها

شعر "لاندري" لأول وهلة أن فكرة الفتاة مضحكة حتى خطر له أن يضحك وقال في نفسه:

- ها هي بنت مسلية أكثر منها ماكرة فالمال لا قيمة له بالنسبة لها ويمكنني أن أشكرها دون أن أسيء إلى أسرتي. وشيئاً فشيئاً أخذت الفكرة تبدو له غير مسلية، وقد شاهدها وهي ترقص في الحقول والمزارع، ترقص بسرعة كبيرة حتى أن بعض الشباب لا يستطيعون متابعتها. ومن ثم فهي ليست جميلة، وترتدي ثياباً بشكل سيء حتى في آخر أيام الآحاد، ولا يوجد شاب في عمر "لاندري" يجرؤ أن يراقصها سيما في يوم عيد أمام أهل القرية. ومن ثم فإن "مادلون" الجميلة ستكون هنا وقد وعدت "لاندري" بثلاث رقصات على الأقل! فكيف ستفسر هذا الأمر؟ وماذا بعد كي تغفر له ذلك؟

كان يشعر بالبرد والجوع ويخشى أن تعود النار المجنونة، فسار مسرعاً لا يفكر بشيء سوى البيت ودون أن يلتفت وراءه. وقص على أبويه وأخيه "سلفان" ماذا جرى معه من عذاب في عبور النهر لكنه لم يجرؤ أن يخبرهم عن رعبه من النار المجنونة ولا عن "فاديت" ونام وهو يقول في نفسه: يجب أن أنتظر حتى الصباح لأفكر في كل ما سوف يحدث، لكنه نام نوماً مضطرباً وسيئاً. كان متعباً جداً من هذه الليلة السيئة لذا كان شبه نائم في الكنيسة، وعندما خرج منها كان قد نسي "فاديت" الصغيرة كانت تقف أمام الباب وبقربها "مادلون" الجميلة تنتظر "لاندري" ليأخذها للرقصة الأولى. لم يكن لدى الشاب الوقت الكافي لذلك إذ تقدمت "فاديت" خطوة إلى الأمام وصاحت بصوت مرتفع سمعه كل الناس:

- هيا يا "لاندري" لقد طلبت مني مساء أمس الرقصة الأولى فلا تدعها. فاحمر وجه "لاندري" وشاهد "مادلون" تحمر أيضاً مما أعطاه دفعاً مضاداً لـ"فاديت" فأجاب: قد أكون وعدتك بالرقصة الأولى يا "فاديت" ولكني وعدت أخرى قبلك وعليك أن تنتظري دورك.

وردت "فاديت" وهي واثقة من نفسها كثيراً:

- أبداً يا "لاندري" مســـتحيل أن تكون قد وعدت واحدة قبلي. أما أنا فقد أعطيتني هذا الوعد منذ أكثر من عام، وقد كررت لي الوعد مساء أمس. وإذا كانت "مادلون" تريد أن ترقص فها هو توأمك وهو شبهك تماماً يمكنها أن تأخذه فالأول يعادل الثاني.

أمسكت "مادلون" يد "سلفان" وردت على "لاندري":

- إن "فاديت" على حق والوعد القديم يجب أن ينفذ يا "لاندري" ومن ثم فانا أحب مراقصة أخيك.

ولم يدرك "سلفان" ماذا يجري فقال:

- حسناً حسناً سنرقص نحن الأربعة. وقادت "فاديت" "لاندري" إلى وسط الحلبة وأمام ســـكان القرية كلهم أخذت ترقص بخفة ورشـــاقة وبكثير من الثقة بالنفس حتى عرفها كل الناس. ولكنها لســـوء الحظ كانت ترتدي ثيابها بشـــكل سيء فبدت أكثر قبحاً مما هي بالحقيقة بين الفتيات الشـــابات. كانت تبدو في بعض الأحيان كأنها عجوز أو مثل صـــبي المزرعة وتعجب "سلفان" من أخيه كيف يدعو مثل هذه الفتاة إلى الرقص، هذه الفتاة التي لا يحبها. ولم يعرف "لاندري" كيف يشرـــح الأمر وتمنى لو يختفي تحت الأرض، كذلك لم تكن "مادلون" مسرورة يبدو عليها الأسى مثل وجه التوأمين.

وعندما انتهت الرقصـــة الأولى راح "لاندري" يختبئ في درب قريب من القرية لكن "فاديت" عثرت عليه بعد قليل.

كان أخوها الرهيب يتبعها وريشـــة تعلو قبعته الوســـخة... وتبعها أيضـــاً ما يزيد عن اثني عشر شاباً وصبية كانوا يراقصونها سابقاً. وأدرك "لاندري" أنها لم تأت بهؤلاء الشبان والشابات ليسخروا منه فيما لو رفض أن يتبعها. لذلك تبعها وراح يبحث عن ركن يراقصها فيه دون أن يراه أحد. ولحسن الحظ لم تكن "مادلون" ولا "سلفان" هناك في هذا الجاني من الساحة، لم يكن حولهما سوى بعض الأغراب لا ينتبهون إلهما.

وبعد الرقصـــة الثانية والثالثة راح "لاندري" يدعو "مادلون" لتناول الطعام معه لكنه وقد تأخر وجدها تجلس مع غيره. فلم ترد أن تدعه واقفاً يتأملها... ويكاد يبكي لو لم يكن له من العمر سبعة عشر عاماً. فنهضت عن المائدة وسألته بصوت مرتفع:

- مع من ســأرقص هذا المســاء؟ والتفتت نحو "لاندري" تظن أنه ســيقول لها سريعاً: معي أنا... لكن صوتاً آخر كان يقول ذلك

وذهبت "مادلون" دون أن توجه نظرها نحو "لاندري" ورقصـــت مع "بييراو باردو" و"جان الدونيس" و"إيتان فيليب"، و"لاندري" ينظر إليها من بعيد تنظر "فاديت" الصغيرة التي مازالت في الكنيسة.

ورأى أن الفتاة الجميلة لا تأبه له واحمر خداها لفرط ســعادتها بالرقص وأنها فرحة ومسرـورة بدونه. فتســاءل فيما إذا كانت تحبه فعلاً، فلو كانت ذكية لأدركت أن أشـياء قد حصلت ولسألته أن يشرح لها.

وبعد الرقصـة الثالثة تقدم "لاندري" منها ليتحدث إليها على انفراد، لكنه وهو في تلك السن التي يشعر فيها الشاب بالحرج عندما يخاطب النساء، أمسك بيدها ليسير معها إلى إحدى الزوايا لكنه لم ينبس ببنت شفة فكان هي من سأله:

- هل أتيت لتراقصني؟

- لا ليس للرقص ولكن لأقول لك بعض الكلمات لا أظنك ترفضـــين ســـماعها فأجابته "مادلون":

- إن شــئت أن تحدثني ففي مرة قادمة، فاليوم يوم التســلية وأنا لم أتعب بعد. وإن كانت "فاديت" قد أتعبت ساقيك فاذهب لتنام فأنا أريد أن أستمر في الرقص. وعندما مرت أمامه مرة أخرى قالت له:

- حسناً يا "لاندري" ألم تجد من يراقصك اليوم؟ أنت مجبر إذن أن تعود إلى "فاديت". وأجاب "لاندري" وقد صعد الغضب إلى وجهه:

- ســكون ذلك من سروري، هي ليســـت أجمل فتاة في هذا الحفل، لكنها أمهر من يرقص. قال ذلك وراح يبحث عنها فرآها تخرج من باب الكنيســـة فانتقل بها إلى وســـط الساحة ورقص معها أمام "مادلون".

كانت "فاديت" سعيدة جداً وبدأت عيناها السوداوان تطلقان بريقاً ورفعت رأسها الصغير و شعرها الأ شعث. ولسوء حظها أخذ بعض الراقصين صغيري السن يسخرون منها وقال أحدهم:

- انظروا إلى "فاديت" إنها تظن أن "لاندري باربو" لها. وما أسرع ما تلقى هذا الصبي لكمتين قويتين فوق عينيه تماماً. فصرخ وتجمع الراقصون حوله ليروا ماذا حدث. أما الكبار فقالوا: إن حظ "فاديت" اليوم قوي فـ"لاندري باربو" يراقصها منذ الصباح، حقاً إنها ترقص بشكل رائع. وسخر منه البعض منهم وسمع "سلفان" بعضهم يقول: إنها فكرة مضحكة أن يرقص شاب جميل مع البنت الأقبح في البلد. وقالت "مادلون" بدورها:

- ماذا تريدون؟ إن "لاندري" لا يزال طفلاً وفي مثل سنه لا يستطيع الفتى أن يميز بين واحدة وأخرى... عندها أمسك "سلفان" بيد أخيه وقال له:

- هيا يا أخي... إنهم يسخرون منك ومنها ولا أدري أي فكرة سيطرت عليك اليوم لتراقصها أربع أو خمس مرات، هذا كثير... هيا لنذهب الآن ونعود في فترة أخرى في نحو الساعة السادسة. وتراقص عندها "مادلون" وهي شابة كما يجب. لقد قلت لك مراراً أنك تحب أن ترقص كثيراً مما يجعلك تقوم بأعمال دون تفكير.

تبعه "لاندري" لخطوتين أو ثلاث لكنه سمع صوت صراخ، التفت ورأى الراقصين والراقصات وقد دفعتهم "مادلون" قد انتزعوا زينة رأس "فاديت" فتدلى شعرها الأسود على ظهرها... وضرب أحدهم حجابها بعصا وحمله على رأس العصا.

استاء "لاندري" واعتبر هذا عملاً مشيناًُ وظالماً فأمسك بالصبي وانتزع منه الزينة والعصا وضربه على قفاه وعاد نحو الآخرين فانطلقوا هاربين منه وأعاد الزينة إلى "فاديت" المسكينة.

وسخر الناس من الخوافين... ولكن "مادلون" حولت الأمر ضده وصار الصبية يسخرون رغم أنهم أكر منه سناً.

شعر "لاندري" أنه قام بواجبه كرجل عندما دافع عن فتاة كان يراقصها حتى لو كانت قبيحة ثم انطلق نحو "مادلون" ومراقصيها فقال لهم:

- ماذا لديكم لتقولوه أنتم أيضـاً... أن أراقص هذه الفتاة، ذلك أمر يعود لي شـخصـياً! ماذا يزعجكم في هذا؟ وإذا كان يزعجكم فعلاً فلا تقولوه همساً. ألست أمامكم؟ أم أنكم لا ترونني! سـمعت هنا من يقول بأنني لا أزال طفلاً، أنتظر أن يردد ذلك، رجلاً كان أو صـبياً وسأرى من سيسخر أمامي من هذه البنت الذي يراقصها هذا الطفل.

واعتقد "سـلفان" أن أخاه قد أخطأ لكنه لم يتخل عنه بل وقف إلى جانبه مسـتعداً للدفاع عنه فهناك عدة شباب أكثر عدداً من التوأمين، ينظرون في وجوه بعضهم ليقرروا من الذي سيقاتل "لاندري".

ولم يرد أحد أن يقاتل لموضوع تافه، أما "لاندري" الذي مازال يمسك بيد "فاديت" قال لها" أعيدي ترتيب شـعرك وضـعي زينتك فوق رأسـك ولنرقص معاً، وانتبهي لمن يريد أن ينتزعها منك فقالت الفتاة:

- لا... لقد رقصت كثيراً اليوم، لم تعد ملتزماً بشيء بالنسبة لي.

- لا، لا... يجب لأن نرقص لذلك إن بإمكانك أن ترقصي معي مثل كل فتيات القرية. ورقصا... ولم يجرؤ أحد أن يذكر أية ملاحظة واقترح عليها أن يستمر فقالت:

- يكفي الآن يا "لاندري"، أنا سعيدة بك... لست منذ الآن مديناً لي بشيء، سأعود إلى البيت وبإمكانك أن ترقص مع من تريد هذا المساء.

وأمسكت بيد أخيها الذي أو شك أن يتقاتل مع بقية الأطفال، وانصرفت مسرعة حتى لم يتمكن "لاندري" من أن يعرف الدرب التي سارت فيه.

هناك من يبكي في الوادي

واسـتمر عيد القرية جزءاً طويلاً من الليل، لكن "لاندري" كان حزيناً مما قالته "مادلون" وقامت به. فأخذ أخوه معه يسـاعده في إعادة ثيرانه. كان يشـعر بألم في رأسـه، وعندما وصـل إلى منتصـف الطريق إلى "لابريش" قال لأخيه إلى اللقاء... ولم يمر عند "الجونسيير" على بيت الأم "فاديت" بل أخذ طريق "شوموا" وهو أطول قليلاً.

سمع ضجة خفيفة فظن أنها الريح وبدا له كأن صوتاً يدر من حفرة عميقة في أ سفل الوادي، فنـــزل إليها مجتازاً أحجاراً ضخمة، وسكت صوت الأنين عندما سمع صوت قدومه وسأل:

- من يبكي هنا؟ لم يجبه أحد فاستمر ينـزل ببطء.

- هل هناك أحد مريض؟ ولم يكن هناك أي رد. فكر أن يعود أدراجه لكنه ظن أن من واجبه أن يستمر في البحث فقد يكون هناك جريح ما.

وبدأ القمر ينير الطبيعة... فرأى شـــخصـــاً نائماً على الأرض ووجهه إلى الأســـفل بدون حراك كما لو كان ميتاً. ولم يكن "لاندري" قد رأى ميتاًُ من قبل أو لمس ميتاً حتى الآن. وقد يوجد أحد هنا فمد يده نحوه.. فنهض هذا وإذا به "فاديت" الصغيرة.

لم يكن "لاندري" مسرـــوراً لرؤيتها مرة أخرى في طريقه لكنه يبدو أنها تتعذب فقال لها:

- آه يا "فاديت"! هل أنت من كان يبكي هنا؟ هل تبعك احدهم أو ضربك؟

- لا يا "لاندري" لم يمد أحد يده إلي منذ أن دافعت عني بتلك الشـــجاعة وأنت تعرف أني لا أخاف من أحد، بل اختبأت كي أبكي. فلا أسوأ من أن يطلع الآخرين على أحزانك.

- ولكن لماذا تتعذبين هكذا؟ أمن أجل هؤلاء الخبثاء اليوم؟ اعلمي أن في ذلك بعض من خطئك. هيا لا تبكي وستعود الأمور كما كانت.

- لماذا تقول أن هذا خطئي... هل من الشرـــ أن أريد أن أرقص معك؟ لابد أن أكون البنت الوحيدة التي لا يحق لها أن تتسلى كالأخريات.

- ليس هذا ما أريد قوله... لقد رقصـــنا معاً وكان ذلك جيداً جداً لكن خطأك هو أقدم من ذلك وأنت تعرفين ذلك جيداً.

- أنا لا اعرف أن لي خطأً. وإذا كنت حزينة فلأن هذا اليوم لم يكن سعيداً بالنسبة لك.

- لا تتحدثي عني... بل نتحدث عنك، أتريدينني كصديق أن أتحدث لك عن أخطائك؟

- نعم يا "لاندري" كم أريد ذلك، سأصغي لك دون أن أقول شيئاً.

- لأول مرة أراك عاقلة يا "فانشون فاديت" وأراك لطيفة إذن سأقول لك لمصلحتك: إن الناس لا يكلموك وليسـوا طيبين معك لأن عمرك سـبعة عشر عاماً وليس فيك شيء مثل الفتيات وتتصرفين كالصبيان ثم أنك ترتدين ثياب بشكل سيء جداً ولا تبدو عليك النظافة، فيظنون أنك قبيحة. عندما تكونين ابنة سـبعة عشر عاماً يجب أن تكوني مثل الفتيات فلا تقفزين فوق أي حصان تصادفينه ويصبح يعدو وتدفعينه كمن فقدت صوابها، أمر يليق بالصبيان ولا يليق بالفتاة. يظنون أنك تريدين أن تلفتي لنفسك الأنظار فيسخرون منك. أنت ذكية وتعرفين أن تحسـني الرد وهذا يدل على أنك أذكى من الآخرين، لكن إظهار ذلك بشكل دائم يخلق لك الكثير من الأعداء. أنت فضولية إن عرفت شيئاً أراد الناس إخفاءه تذكرينه بقسوة. لذا تظنين أنهم لا يحبونك... إنهم يخشونك فقط، لا يحبونك لأنهم يقولون أنك سـاحرة كجدتك لذلك لا يكون الناس لطفاء معك يا "فانشـون" فكري بما قلته لك وتصرفي كبقية الناس وسيكون الأمر أفضل بالنسبة لك.

- قد تكون على حق يا "لاندري" أنا أخطئ أحياناً ولكن ليسـت تلك الأخطاء الجدية، لو كان الناس عادلين لاهتموا بطيبة قلبي وليس إلى وجهي وثيابي، رغم أني كنت أساعدهم. لقد تعلمت الكثير من جدتي فأعرف كيف أعتني بالناس وأعرف الأزهار والأعشاب والأحجار والحشرات وكل ما يشفي المرضى. وأظن أنني أعرف أكثر مما تعرفه جدتي، وكم حاولت أن أقدم المساعدة والخدمات، وبدلاً من أن يشكرني الأطفال في مثل سني لأنني ساعدت على شفائهم من الأمراض يقولون أنني خطيرة وقد أستطيع أن أعمل شراً كما لو كنت ساحرة. أنا أعرف حقاً بعض أشياء قد تحدث الضرر لكن لا أقوم بها أبداً بل أدافع عن نفسي بلساني فقط ولا أفكر بالأشرار بل أعفو عنهم كما يأمرنا الله بذلك...

- أن أعتني بنفسي وثيابي.. أنا لا اعرف ذلك، فقد توفيت والدتي وعمري سبع سنين. ومن ثم فلماذا الاهتمام وأنا قبيحة؟ أنا أعرف ذلك ولا أستطيع أن أغير نفسي ولا أريد أن أبدو على شكل يغابر ما خلقني الله عليه وقال "لاندري":

- لا يا "فاديت" أنت لسـت قبيحة كما تتخيلين، هناك من هم أقل جمالاً منك ولا يذكرهم أحد بسوء.

- لا تحاول أن تخدعني يا "لاندري"

- أنا أقول الحق، ارتد ثياباً نظيفة كالأخريات ورتبي شعرك جيداً وتزيني فتبدين جميلة ويقولون أنه لا توجد في القرية فتاة لها جمال عينيك!

كان "لاندري" يتكلم ولا ينظر إلى "فاديت" ولأول مرة بدت على وجهه علامات الاهتمام والانتباه. لاحظت "فاديت" هذا التغيير لكنها لم تأخذه على محمل الجد. فأجابته متسائلة:

- حتى لو أردت ذلك فكيف أستطيع أن أرتدي الأفضل؟ إن جدتي لا تعطيني ما يكفي لإطعامي... وهذا كل شيء فأنا لا أملك دراهماً وأرتدي ثياباً تركتها أمي، ومنذ وفاتها لم يحبني أحد.... والحقيقة أنه طالما لا أحد يحبني فأنا لا أعمل عند أحد وأبقى غالباً بدون عمل.

- نعم، أنت على حق فلا أحد قادر عل الفهم.

- أنا أعرف أنه حتى جدتي تقول عني كلاماً سيئاً، لكن... ماذا ستعمل بدوني؟ لم يعد لها ساقان، وعيناها منذ خمسة عشر سنة وهي تبحث عن الأعشاب اللازمة لها وإني أعرف – كما قلت لك- أشياء لا تعرفها هي نفسها. أنا أعتني بقطيعها ومن ثم تريدني أن أتركها. وأنا أحب جدتي العجوز رغم أنها لا تعطيني دراهماً. وهناك سبب آخر لعدم تركي لها سأقوله لك إن شئت يا "لاندري".

- قوليه يا "فاديت" . وهو لم يتعب من الإصغاء إليها.

- عندما كان لي من العمر سبع سنوات تركت لي والدتي أخاً قبيحاً مثلي يستحق الرثاء لأن له ساقاً أطول من الأخرى. جدتي لا تحبه وكثيراً ما تضربه ولولا أنني أتظاهر بأنني أضربه ولكن لا أسبب له ألماً ويتظاهر هو بالصراخ وعيناه تنظران إلي وهو يضحك. أنا ألبسه قدر ما أستطيع وأعتني به عندما يمرض، فجدتي لم ترد يوماً أن تعتني بطفل. لذا لا أسكن عند أحد غيرها وأبقى بدون دراهم وأكتسي بشكل سيء وأتخيل نفسي أم هذا الصغير المسكين! تلك هي أخطائي يا "لاندري".

اعتذارات "لاندري"

كان "لاندري" يصــغي لها بكثير من الاهتمام، ويرى كل ما جاءت على ذكره مليئاً بالعقل، وعندما تحدثت عن أخيها الصغير شعر نحوها بصداقة حقيقة وقال أخيراً:

- إن كل ما ذكرته جيد فأنت عاقلة، هذه المرة يا "فاديت" من يخطئ معك يخطئ بحق نفســه أولاً. أنت ذات قلب طيب لماذا لا تظهرين نفســك كما أنت؟ أصــغ إلي، عندما تتحدثين إلي كما فعلت بدا أنك لست غاضبة مني.

- قد أكون قد غضــبت... ولكن لم يبق لدي شيء منه الآن. كنت أظن أنك تحســبني كالآخرين، لكنك كنت لطيفاً معي. ظننتك بلا قلب لكنك وفيت بوعدك، وظننتك خوافاً فوجدتك شجاعاً وقد أتيت تنتظرني أمام الكنيسة عندما أوشكت أن أسامحك. دافعت عني ضد الأولاد الخبثاء الذين أوشكوا أن يسيئوا إلي. وهذا المساء سمعتني وأنا أكبي أتيت إلي، لن أنسىـ لك هذا كله أبداً وطيلة حياتي يمكنك أن تطلب مسـاعدتي أعرف أنني سـببت لك الكثير من الألم لكن لم أدرك ذلك إلا مســـاء اليوم، ولو كنت أعرف من قبل أنك تحب "مادلون" حقيقة لما أجبرتك على مراقصتي.

- نعم هذا صــحيح! يســـليني أن أجعلك تترك فتاة جميلة من أجلي أنا القبيحة!.. ولكنني رأيتك شيئاً فشيئاً تنظر دوماً باتجاهها وأنك أوشكت على البكاء من كل قلبك. ولقد بكيت أنا وكنت لا أزال أبكي عندما رأيتني هنا و سأ ضل أبكي حتى ا ستطيع أن أ صلح الـ شر الذي ســببته لفتى طيب هو أنت... وقد عرفت ذلك الآن. وأخذت تبكي من جديد وقال "لاندري" وهو حزين أيضــاً بدوره: ولكن يا "فانشــون" ماذا ســتفعلين لكي تعيدي العلاقات الطيبة مع فتاة أخرى؟

- إنني من الذكاء بحيث أســـتطيع أن أشرح كما يجب، إن "مادلون" تدرك أن الخطأ هو ذنبي، وســأجعلك ناصــعاً كالثلج أمامها، فإذا لم ترد لك صــداقتك تكون لم تحبك أبداً في يوم من الأيام.

لقد عرفت الآن أنها لا تحبني فلا تحملي هماً بدون جدوى، ولا تحزني فقد شفيت من حبها.

- إنني أفضل يا "لاندري" بالتفكير فدعني أتصرف فأنا لست قبيحة في داخلي كما أنا في الخارج. فإذا كان حبك لفتاة جميلة خيراً فإن صداقتك لفتاة قبيحة أفضل، فالقبيحات.... وأمسك "لاندري" بيدها:

- سواء كنت قبيحة أو جميلة فأنا أعرف أن صداقتك شيء رائع، فأنت طيبة جداً وإذا قلت أنني لم أتصرف معك بشكل جيد أجد نفسي أنني كنت غير مهذب.

- لماذا إذاً يا "لاندري"... لماذا؟

- أنا لم أقبلك لو مرة واحدة عند انتهاء الرقص، كان ذلك واجبي يا "فانشون" إنها العادة عندنا، ولو لم تكوني طيبة للاحظت ذلك. وقالت "فاديت":

- أنا لم أفكر بذلك أبداً. وهو يعرف أنها تكذب. وقالت:

- لقد تأخر الوقت،اسمع العصفور يغرد.

- أنا أسمع ذلك وعلي أن أعود إلى "لابريش" ولكن قبل أن أغادر هل تريدين أن تسامحيني؟

- ليس هناك من سبب لأسامحك.

- نعم سامحيني واطلبي مني أن أقبلك. وردت "فاديت" بمرح وبعد صمت قصير:

- لقد راقصت القبيحة... هي لا تريد معاقبتك مرة أخرى وتجبرك على تقبيلها.

- أن أقبلك ليس عقوبة لي، لكن يبدو أنك لا تزالين غاضبة. وارتجف لتصوره أنها قد ترفض. لكنها قالت بصوتها العذب:

- أصغ إلي يا "لاندري" لو كنت جميلة لقلت لك: ليس المكان ولا الساعة مناسبين للتقبيل ولو كنت معجباً بي لفكرت أن الوقت والمكان هما المناسبان الآن فالليل يخفي القبح وإليك إذن ما أقوله لك:

- صافح يدي لتدلل على صداقتك الطيبة وسأكون مسرورة سروراً لم احصل عليه من قبل ولا أتمنى غيره وقال "لاندري":

- سأضغط على يدك من كل قلبي، لكن الصداقة لا تمنع من التقبيل... حاول أن يقبلها فأرادت أن تمنعه.

- دعني يا "لاندري" إنك تسـبب لي الكثير من العذاب. توقف "لاندري" وهو ذاهل وكاد أن يغضب.

- عرفت جيداً أنك لا تقولين الحقيقة عندما تقولين أنك راغبة بصداقتي، فلديك صداقة غيرها أقوى منها تمنعك من تقبيلي. فأجابته وهي تبكي:

- لا يا "لاندري" إنك لو قبلتني في الليل وأنت لا تراني فسوف تغضب في النهار عندما تراني.

- ألم أرك من قبل؟ ألا أراك الآن؟ هيا اقتربي نحو ضـوء القمر فأنا أراك جيداً ولا أراك قبيحة، أنا أحبك وأحب وجهك ثم قبلها... وكان يرتجف في بادئ الأمر ثم قبلها من جديد بكثير من المتعة حتى خافت منه فقالت له وهي تدفعه:

-كفى يا "لاندري" يقال أنك تقبلني بغضب أو أنك تفكر بـ"مادلون" سوف أكلمها غداً وسـوف تقبلها بمزيد من سـعادة لا أسـتطيع أن أمنحها لك. وراحت تعدو، وأراد "لاندري" أن يعدو خلفها لكنه قرر أن يعود إلى "لابريش" وعندما اسـتيقظ صـباح اليوم التالي فكر... كيف هذا؟ ماذا سـيقول "سـلفان" لو رآني كالمجنون مسـاء أمس؟ إن هذه الـ"فاديت" أفقدتني شجاعتي وعقلي وصحتي.

نهض من فرا شه وبقي طيلة اليوم يـستمع إلى تهكم رفاقه في "لابريش" يـسخرون من رقصاته يوم العيد، فكان يرد عليهم بلطف:

- ليسـت "فاديت" الصـغيرة كما تتصـورون وهي تعادل الكثيرات من مثيلاتها وإنها تستطيع أن تقدم خدمات كثيرة، فصاروا يسخرون منه أيضاً.

رد "مادلون" وما تلاه

في نهاية هذا اليوم قاد "لاندري" ثيرانه لترتاح عندما شاهد "فاديت" الصغيرة تسير بسرعة باتجاه المرج حيث تكون "مادلون".

شعر بالقلق مما يمكن أن يقال، وبدلاً من أن يذهب لتناول الطعام دخل دغلاً بين الطريق والمرج حيث غدا قريباً من الفتاتين ولكن لا يراهما.

كانت "مادلون" تتحدث بصوت منخفض لذا لم يسمع ماذا قالت، أما "فاديت" الصغيرة فكان صوتها واضحاً لم تفقه كلمة واحدة مما قالته. وكما وعدته كانت تتحدث إلى "مادلون" فشرحت لها بكل لطف ذلك الوعد الذي قطعه لها منذ عشرة أشهر. كان من الممتع أن يستمع لها ولم تذكر كلمة واحدة عن النار المجنونة ولا عن خوف "لاندري" وقالت أن كل ما حدث كان من خطئها. عندها ردت "مادلون" بصوت مرتفع وبغضب:

- كأنني أسمع صوت الساحرة العجوز جدتك... إنك تحاولين خداعي وأنا لا أريد أن أتحدث مع بنت مثلك، لقد لحقني الشر عندما أصغيت إليك. إن "لاندري" أول وآخر شاب يهتم بوجهك القبيح، احرصي عليه جيداً فأنا لا أريد شيئاً من بقاياك، إن "لاندري" أحمق لا يساوي كثيراً بعد أن ظن أنه سينالني تأتي أنت لتعيديه لي، ماذا سأفعل به من بعدك؟

- أنت تريدين أن تجرحيني... تابعي إن رأيت هذا ضرورياً، لكن عليك أن تتأكدي أن "لاندري" ليس من بقاياي، فأنا أحبه منذ زمن لم أفكر إلا به وسأفكر به طيلة حياتي، إنه لا يحبني لذا كوني مسرورة فأنا أحبه وهو يحبك... عديني لو جاءك معتذراً أن تقبلي اعتذاره. وبدلاً من أن ترد عليها "مادلون" بلطف خاطبتها بقسوة وطردتها وهي تقول: إن "لاندري" يستحقك أما بالنسبة لي فهو لا يزال طفلاً وأحمقاً. وبعد مغادرة الفتاة التعسة قالت لنفسها:

- إن "لاندري" ليس طفلاً وبدأت تفكر فيه بشكل جدي وكانت مسرورة لأنها وثقت بأنه يحبها، وهي تستطيع الإضرار بـ"فاديت". ومساء ذلك اليوم ذهبت إلى "لابريش" وادعت أنها تبحث عن خروف وتظن انه اختلط مع قطيعهم، وتطلعت إلى "لاندري" تشعره أنها تصغي إليه.

فهم "لاندري" ماذا تريد وقال في نفسه:

- إن "فاديت" نجحت في الحصول على ما تريده خلال سبع ساعات فقط وأحدثت فيّ من التأثير ما يقرب ما فعلته "مادلون" في عام كامل. ما أطيب قلبها.

ونظر إلى "مادلون" بهدوء وهو يفكر هكذا... ثم انصرفت قبل أن يقرر الحديث معها وزال عنه سروره وخفّت رغبته في أن تحبه.

ومضى أسبوع لم يلتق فيه بـــ"فاديت" فكان مندهشاً لهذا وشبه حزين... وأخذ يفكر أكثر مما فكر طيلة عمره فلم تعد لديه رغبة بالعمل كالسابق.

وجاء يوم الأحد ودخل الكنيســـة فرأى فتاة غطت وجهها براحتيها، ظنها "فاديت" ولكنه فكر: لا ليست "فاديت" إنها لا ترتدي ثياب "فاديت" أو زينتها. وفجأة نهضت الفتاة فإذا هي "فاديت" بثياب جديدة وملامح جديدة، ثياب من قماش رخيص لكنها قضـــت أسبوعها في تنظيفها وقصها وخياطتها. كان ثوبها ينسدل نظيفاً فوق جوارب بيضاء نظيفة، وأخذت زينتها شـكلاً جديداً ربطتها على بشـكل جميل فوق شـعرها السـود المرتب بشـكل رائع، أما صـدارتها فقد أعيدت خياطتها فلم تعد تشـبه قطعة من الخشـب. فبأي عشـبة اغتســـلت يا ترى؟ بأي اعتناء؟ ثمانية أيام فقط تغير فيها لون وجهها ويديها. عندما رأى "لاندري" هذا التغيير الكبير سقط الكتاب الذي يحمله في يده. وعند صدور الصوت التفتت "فاديت" ونظرت إليه في وقت كان ينظر فيه إليها فاحمر وجهها قليلاً مما جعلها تبدو أكثر جمالاً، كانت عيناها تشـعان ببريق نار صـافية بدا كأن "لاندري" يحترق فيها. وفكر... حتماً إنها ساحرة. فمن فتاة قبيحة أرادت أن تصبح جميلة ونجحت في ذلك فشعر لذلك بالخوف، ولكن هذا الخوف لم يمنعه من أن يرغب بالاقتراب منها ومحادثتها في أقرب وقت. لكنها لم تنظر إليه أبداً وعند الخروج من الكنيسة ذهبت مباشرة إلى بيتها بدلاً من أن تنطلق لتلعب مع الأولاد. حتى لم يكن لدى البعض الوقت الكافي لملاحظة التغيير الذي طرأ عليها، ولم يجرؤ "لاندري" أن يتبعها فعينا "ســـلفان" لا تفارقانه. ولكن بعد ربع ســـاعة اســـتطاع أن يجدها. كانت ترعى حيواناتها بهدوء في ذلك الدرب العميق الذي يدعى "طريق الجنود" جلس بقربها ليتحدث إليها لكنه شع بثقل في لسانه لا يشعر به عندما يخاطب "مادلون". كان يهيئ نفسه ليول لها ل شيء لكنه لم يجد كلمة واحدة.

وكان "لاندري" يراقب الفتاة فشـــعرت هي الأخرى بالحرج وســـألته لماذا ينظر إليها بعيون لها دهشة ثم قالت له:

- قد يكون ذلك لأنني رتبت زينتي! إنني عملت بنصيحتك وفكرت بأنني إن أردت أن أبدو بشـكل معقول فعلي أن أرتدي ثيابي بشـكل معقول أيضـاً ولم أسـتطع أن أظهر نفسيـ خشية أن يقال:

- لقد حاولت أن أكون أقل قبحاً لكني لم أنجح في ذلك. فقال "لاندري":

- ليقولوا ما يشـــاؤون، ولا أدري ماذا فعلت حتى غدوت جميلة حقاً. أنت جميلة في هذا اليوم يستطيع الجميع أن يلاحظوا ذلك.

واحمر وجه "فاديت" من جدي مما زادها جمالاً أيضاً.

- أصــغ إلي يا "فانشــون" أنت من تعرفين الكثير من الأشــياء يمكنك أن تســدي إلي نصيحة... في يوم الأحد الماضي شعرت نحوك بصداقة قوية حتى أنني لم آكل ولم أنم كعادتي والآن أراك وقد تغيرت كثيراً فيدهش له كل الناس، وإذا اســتمر ذلك خمســـة عشرــ يوماً سيغفر الناس حبي لك، ولا تنسي أنني طلبت منك أن تسمحي لي بتقبيلك، فقال الناس أنك قبيحة وخبيثة وأنا الوحيد الذي شـــعرت أنك جميلة وطيبة. خبأت "فاديت" وجهها بيديها ولم تجد جواباً.

أما "لاندري" فقد سمع الكلام الذي قالته لــــ"مادلون" فتأكد أنها تحبه وتساءل فيما إذا كان ذلك صــحيحاً. قد تكون ذكرت ذلك لي تعيد لهما صـــداقتهما، وشـــعر لذلك بحزن عميق وغدا أكثر عشـــقاً لها. أمســـك بيدها وجرها نحوه ورأى وجه "فاديت" أبيضـــاً رائعاً وتساءل:

- يا إلهي! ماذا حصـل لها... إنها بيضـاء لا لون لها فهل تكون مريضـة؟ شـعر بخوف كبير عليها وجذب يديها بيديه: كانت يداها باردتين قاســيتين كأنها من حطب فأخذ يدفئها لا ويدعكها بيديه حتى شعرت بأنها الآن أفضل وقالت له:

- هناك أ شياء جادة في الحياة وأخشى أن تكون تتلاعب بي لذا أرجو أن تدعني و شأني وأن لا تكلمني لبضعة أيام إذا لم يكن هناك شيء تري أن تطلبه مني. كانت حساسة جداً

وشـــعرت بحب "لاندري" لها الذي خلق لديها سروراً حرك فيها كل شيء خلال وقت قصير، لكنها خشيت أن تفقد سعادة حصلت عليها بسرعة فأرادت أن تترك "لاندري" لبعض الوقت قبل أن تفكر به كزوج لكي تتأكد من حصـــولها عليه. بقي معها حتى حل الليل، لم يحدثها أبداً عن الحب لكنه كان سعيداً جداً بأتن يراها وأن يسمعها تتكلم حتى لم يستطع أن يقرر في وقت ما أن يتركها. وفي الغد وفي الأيام التي تلت كان ينجح في رؤيتها إذ يصادفها أحياناً في المســـاء مما يمكنه م التحدث إليها وقتاً طويلاً، أما في النهار عندما يكون في عمله فيون مسروراً لو استطاع أن يوجه لها بعض الكلمات.

واستمرت تعتني بنفسها وترتدي ثياباً بشكل جيد كبقية الفتيات ولاحظ الجميع ذلك، فتحدثوا عنها كما يتحدثون عن بقية الفتيات فلم يوجهوا لها إلا أقوالاً جميلة ولم تعد تحتاج للدفاع عن نفسها.

غدا تعساً يتعب بسرعة

ولم يخجل "لاندري" من أن يبدو عليه أنه يحب بنتاً صـــغيرة قيل عنها أنها قبيحة وسيئة وقليلة التهذيب ولو أنه يخفي بعضاً من هذا بسبب أخيه التوأم "سلفان" فقد شعر بالكثير من الألم أثناء صـــداقة "لاندري" لــــــ"مادلون". ولحســـن الحظ إن "فاديت" تحب "لاندري" بحق فلم ترد أن تغدو أسرته ضدها وأن تسبب له الشقاء.

وسر " سلفان" في بادئ الأم لأن أخاه لم يعد يهتم بـــــ"مادلون" فظن أن وعيه ق عاد إليه كلية فلم يعد يتبعه أينما ذهب وتركه حراً. وفي أيام العطل والأعياد كان "لاندري" يســتطيع أن يغدو ويروح حيثما شــاء. وفي أيام الآحاد في المســاء يغادر "لاندري" "لابريش" بسرعة ولا يعود إلا في منتصف الليل. وفي الشتاء عندما يكون الجو شديد البروة لا يستطيع أن يبقى طويلاً في الحقول فكنا يلتقيان في بيت صغير يخزن في الأب "غايو" الحبوب والآلات إذ كان مفتاحه مع "لاندري".

وكان البيت بعيداً جداً بين بي الأم "فاديت" و"لابريش" فلم ينتبه لهما أحد خلال عام كامل. ولكن كل شيء يعلم في النهاية، ففي يوم الأحد كان "ســـلفان" يتمشىـــ على جانب المقبرة فمع أخاه يتحدث على بع خطوتين قرب زاوية الحائط.. يتحدث بهدوء:

- لماذا لا تأتين للرقص، مضى زمن طويل لم يرك فيها أحد تقفين في الساحة عن الخروج من الكنيسة! ولم يعد الناس يجدون من الشر أن أراقصك، يظنون أننا لم نتعارف أبداً وأتساءل إن كنت لا تزالين تعرفين الرقص بعد هذه المدة الطويلة؟

ورد عليه صوت آخر لم يعرفه "سلفان" لأنه لم يسمعه منذ مدة طويلة:

- لا يا "لاندري" علينا أن لا نجعلهم ينتبهون إلي، فلو راقصتني مرة وأردت أن تكررها كل أحد سيتكلمون عنا. فكر بما أقوله لك دائماً يا "لاندري" إن معاناتنا ستبدأ في اليم الذي سيعرفون فيه أنك تحبني... دعني أذهب الآن وعندما تقضي بعض الوقت مع أهلك ومع أخيك تأتي لتلاقيني في المكان الذي تعرفه. فقال "لاندري":

- من المحزن أن لا نرقص معاً، أنت تحبين الرقص كثيراً يا جميلتي وترقصين جيداً، ما أعذب أن أمسك بيديك وأجعلك تدورين بين ذراعي وأن أراك لطيفة جداً وخفيفة جداً ولا ترقصين إلا معي. وردت الفتاة:

- يا "لاندري" الطيب! يجب أن لا يحدث هذا... أنت تحن للرقص أعرف ذلك جيداً، اذهب وارقص قليلاً وسأكون سعيدة لو كنت تتسلى، سأنتظرك بكل الثقة.

- أنت لطيفة جداً وأنا أفضل أن تقطع ساقاي على أن أراقص فتاة لا أحبها ولا أقبلها لو أعطيت مائتا فرنك. وردت "فاديت":

- عندما أراقصك، علي أن أراقص غيرك أيضاً وأن أسمح لهم بتقبيلي. فقال "لاندري":

- اذهبي... لا لا أري أن يقبلوك...

ودخل "سلفان" إلى المقبرة كي لا يراه أخوه وشعر كأنه تلقى طعنة سكين ولم يحاول أن يعرف الفتاة التي يحبها "لاندري" يكفيه أن يعرف أن أخاه يفكر بغيره طيلة اليوم وقال لنفسه:

- إن "لاندري" يختبئ مني... وهذه البنت ليست صديقتي ، وأدركت الآن لماذا يقل بقاؤه في البيت ولا يريد أن يتنزه معي. لن أذكر له شيئاً وسأحتفظ بعذابي لنفسي، وسيكون سعيداً لو تخلص مني.

ونفذ "سـلفان" ما أخذه على نفسـه فلم يرد أن يربك توأمه فكان يغادر البيت قبله ويذهب ليتنزه وحيداً ي طريق الجانب الآخر من "الابريش" وفكر: إنه يذهب دائماً من هذه الجهة فلا أري أن أزعجه. وشـيئاً فشـيئاً عاد إليه حزنه القديم حتى صـار يبدو على وجهه فصـارت أمه تتحدث إليه بلطف، لكنه لم يشـأ أن يتعرض من جديد بعد أن بلغ الثامنة عشر لعذابه لنفس الجرح في الخامسة عشر.

" إن من يسـتطيع أن يكتم الألم الذي يشـعر به هو الأقوى بالنسـبة لمن يشـكو منه" فاعتاد التوأم المسكين أن يبدو حزيناً دائماً فكان يعمل أكثر مما يستطيعه... ولكنه إذا تعب كثيراً اليوم فلا يسـتطيع أن يعمل شـيئاً في اليوم التالي، ومن ثم فإن "مادلون" تعرف الكثير إذا لم تحتج إلا حبها لـــ"لاندري" لوقت قصير حتى يحبها "لاندري" فهي لا تنسى شيئاً... وقررت أن تحدث له أكثر ما يمكن من الشر. وبعد "لاندري" صار لها عاشقان ثم ثالث هو "كاديه" الابن الأخير لأب "غايو" كما خشي على ابنه الثاني الذي تمسـك بها فقرر أن يذهب ليلقاها في بيت الأب "غايو" بيت "فاديت ولاندري".

بحث "كاديه" عن مفتاح البيت فلم يجده فهو دائماً في جيب "لاندري" ولم يجرؤ أن يطلبه منه إذ لا يوجد سب معقول لمثل هذا الطلب.

وفي إحدى الأمسـيات أراد أن يفتح الباب بالقوة، وفي هذا المسـاء التقى "لاندري" بـ"فاديت" فيه والتق العشاق الأربعة هناك وجد الجميع أن من الأنسب أن لا يتحدث أحد عن ذلك...

أما "مادلون" فقد عادت غاضـبة إذ رأت "لاندري" وقد تركته غدا من أجمل شـباب القرية يتحدث كل الناس عن مآثره... ذلك الشـاب الذي فضـل "فاديت" عليها، فروت قصتهما إلى اثنتين من صديقاتها فأخذوا يتحدثون أمام الناس أنهما صديقان وقد يكون الأمر أكثر من صداقة؛ إذ أنهن لاحظن ولعدة مرات وجود "لاندري" مع "فاديت".

هناك أناس يسعدون بأن يتكلموا بالسوء عن الآخرين، فسرت الضجة في كل القرية حتى بلغت أذني الأم "باربو"مما أزعجها وقررت أن لا تذكر شـيئاً أمام زوجها. لكن الأب "باربو" عرف بالأمر من جهته، وتألم "سـلفان" أن كل الناس يتحدثون عن أخيه. وفي ذا المسـاء وكان "لاندري" يتهيأ لمغادرة "البيسـونيير" كعادته حيا أباه عندما هم بالمغادرة لكن هذا ناداه قائلاً:

- لا تعجل مغادرتنا يا "لاندري" أريد أن أتحث إليك... أما عمك "لاندين" وقد دعوته للحضور. وعندما وصل إليهم قال الأب "باربو":

- "لاندري" أريد أن أحدث إليك بطريقة لا تسرـك ولسـت مسرـوراً كذلك. أنت على وشك أن تقع في الخطأ ويجب أن تبرأ من هذا وسنشرح لك.

- إنك منذ عام تقريباً رقصـت في عيد القرية مع أقبح بنت فيها، وأكثر قذارة ومقتاً في كل البلد. وقد علمت بذلك في نفس اليوم، ظننت أنك تريد أن تسـلي البنات الأخريات كذلك لم أجد هذا حسـناً لكني فلت أن لا أظهر ذلك. ومنذ أسـبوع بدأت أسـمع أحاديث مغايرة تماماً وقد ذكر لي أناس جادون ذلك لكني... سأصدق الأمر إذا كان هذا صحيحاً بعد أن تقول لي ذلك. وأتمنى أن يكون غير صحيح فقال "لاندري":

- تكلم يا والدي! سأذكر لك الحقيقة كأي ابن بار.

- قيل لي أنك تصرف بسوء مع ابنة الأم "فاديت" وهي امرأة سيئة! وتتنزه معها في كل الأمكنة حتى في الليل... سيكون الأمر جدياً حقاً لو كان هذا صحيحاً مما يجعلك تعساً طيلة حياتك.. هل تسمعني... هل ستجيبني أخيراً؟

- أسـمعك جيداً يا والدي وأرجو من طيبتك أن تسـمح لي بسـؤال واحد: هل ترون معرفتي بها شراً بسبب عائلتها أو بسببها شخصياً؟

- إن شخصاً من عائلة طيبة لا يعرف شخصاً من عائلة سيئة وإلا حصل شر. "فاديت" الصغيرة هي جزء من أسرتها، لقد رأينا كيف نشأت وتربت وتعرف ماذا تساوي هذه البنت؟ لقد سمعنا أنها ومنذ عام تقريباً غدت تظهر بشكل أفضل فلا تركض مع صغار الصبيان ولا تتحدث بسوء عن أحد. أظن أن تلك هي الحقيقة ولكن هذا لا يسمح لي أن أظن أن طفلة تربت تربية سـيئة يمكن أن تغدو سـيدة جيدة. وأخشى أن يكونوا قد انتزعوا منك وعوداً. ونهض "لاندري" وقد احمر وجهه وقال: والدي! إن الذين قالوا لك هذا هم كلاب... لو أمسك بهم لأقاتلهم حتى يسقط أحدنا على الأرض. فقال له "سلفان" هامساً:

- لا تغضـب هكذا... إن والدنا لا يقول إلا أنك أخطأت بهذه الفتاة ويخشى أن تجعلك...

- وتحسن وضع "لاندري" عندما سمع صوت أخيه لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يجيب:

- أخي، أنت لا تعرف "فاديت" الصغيرة فأنت عرفتها من خلال ما يقولونه عنها من شر، وليقولوا ما يشاؤون لكن أمامي.. لا شيء ضدها أبداً. يجب أن يعرف أبي وأمي ذلك وأن يكونا هادئين إذ لا يوجد على وجه الأرض مثل هذه البنت! وليس ذنبها إن كانت جدتها كما هي عليه.

ونهض الأب "باربو" ليقول لولده أن على الأمر أن لا يتطور لأبعد من ذلك وقال: أرى أنك تحب هذه الفتاة... لن أتكلم عن ذلك، يجب أن تفكر فيما يجب علينا عمله! يجب أن نمنعك من أن تدفع حياتك ثمناً لحماقة شباب ترتكبها. والآن حان الوقت لالتحاقك برؤسائك.

وغادر "لاندري" حزيناً وغاضباً، أراد "سلفان" أن يتبعه فلم يجرؤ على ذلك إذ أنه يعرف أن "لاندري" ذاهب لملاقاة "فاديت" الصغيرة.

واستلقى بحزن... وهو يفكر بالشر الذي أحاق بالعائلة.ا

إلى اللقاء فقط

لا شيء يوقظ الم "فاديت" في الليل فهي صماء. واعتاد "لاندري" أن يأتي ليتحدث مع "فانشون" في غرفة مجاورة للغرفة التي تنام فيها العجوز والصغير "جافيت".

تحدث الشاب لها عن همومه فوجدها مليئة بالشجاعة وقالت له:

- من مصلحتك يا "لاندري" أن تنساني، يجب أن تنساني. ولاحظت أنها سببت له الألم فقالت:

- "لاندري" كنت اعرف دائماً أن سعادتنا ستنتهي حالما يعرف الناس أننا متحابان. إن أباك يفكر بمصلحتك وهو على حق، لقد كنت أبدو بشكل سيء وأنا صغيرة ولقد قلت لي ذلك بنفسك في اليوم الذي بدأت تحبني فيه، فلم أتغير إلا منذ سنة واحدة وهي ليست كافية كما قالوا لك ذلك اليوم، لذلك ندع الأيام تمر فتسقط الأكاذيب لوحدها. فسيعرفون أنني لا أريد أموالك ولا أريد لك الشر- بل أريد لك السعادة فقط. عندها يمكننا أن نتقابل وأن نتكلم دون أن نختبئ. وبانتظار ذلك عليك أن تنفذ ما يقوله والدك وأعرف أنه سيطلب منك أن لا نتقابل أبداً. فقال "لاندري":

- أنا لا أمتلك هذه الشجاعة وأفضل أن أرمي نفسي في النهر.

- إذا كنت لا تملكها فسأملكها أنا بدلاً منك، سأغادر البلد لوقت قصير. وبالفعل فقد عرض علي مركز جيد في المدينة.

- لقد غدت جدتي صماء جداً ومريضة جداً فلم تعد تستقبل أحداً من المرضى. هناك قريبة لها تطوعت أن تقيم عندها وتعتني بها جيداً وبأخي الصغير الذي لم يعد طفلاً الآن.

أما "لاندري" وهو لا يريد لـــ"فاديت" أن تغادر فعاد إلى "لابريش" جسداً بلا روح، وبعد يومين من ذلك قال له "كاديه غايو":

- يا "لاندري" المسكين إن ما قامت به "فاديت" هو عين العقل، وهذا ما قلته لها عند سفرها! وصاح "لاندري":

- ماذا تقول يا "كاديه" هل غادرت؟

- ألم تكن تعلم ذلك؟ لقد ظننتكما متفقين على ذلك. نعم لقد مرت بقربنا منذ حوالي ربع ساعة تحمل رزمة صغيرة تحت ذراعها، ستذهب إلى "شاتوميلان" الآن وهي ليست بعيدة عن المدينة القديمة أو عن "أورمون".

ترك "لاندري" ثيرانه في الحقل وأخذ يعدو ولم يتوقف إلا عندما غدا قرب "فاديت" الصغيرة في الدرب النازلة من "أورمون" إلى "ثيرملين". لقد ركض كثيراً حتى لم يستطع الكلام، استلقى على الأرض في طريقها ليمنعها من أن تسير أبعد من ذلك.

- لم أرغب في أن تكون معي ساعة مغادرتي مما يسبب لك الكثير من الألم وقد أفقد أنا شجاعتي. كن رجلاً و ساعدني. احتاج إلى بعض الشجاعة عندما أرى أخي الصغير يتبعني وهو يصيح ويبحث عني فأشعر حينها أنني ضعيفة جداً حتى أكاد أكسر رأسي فوق هذه الأحجار، لن أغادر اليوم، لن أغادر أبداً... وسأفقدك.

- آه لو أعرف أنك تغادرين بسبب الحب وبهدف أن نلتقي لكانت لدي الشجاعة أنا أيضاً. وسألته:

- هل تظن أن هذا ليس بسبب الحب؟ وأخذت تبتسم وتبكي بآن واحد. فضمها "لاندري" بين ذراعيه وقال:

- يا إلهي... هل تسافرين من أجل الحب حقاً؟ وردت وهي لا تزال تبتسم وتبكي:

- أعتقد أن هذا صحيح، فمنذ أن كنت في الثالثة عشر من عمري رأيتك! ولم أعد أرى أحداً. كنت اتبعك عبر الدروب وأنا أ سخر منك وما ذلك إلا لكي أجعلك تهتم بي إلى أن كان يوماً رأيت فيه أخاك "سلفان" يهرب من البيت فتبعته لكي أستطيع أن أدلك على مكانه وأن تعترف لي بالجميل، إذ كان ذلك يحدث دائماً. والآن إنني أغادر لكي أستطيع أن أكون زوجتك عندما أعود. وشعر "لاندري" أنه غدا مجنوناً فعلاً هذه المرة فأخذ يضحك ثم يصرخ ثم يبكي ويقبل أيادي "فانشون" وطرف ثوبها وقدميها، نهضت "فاديت" وقبلته قبلة حب عميقة وكاد أن يهوي على الأرض لفرط سعادته، لكنها قد حملت رزمتها وراحت وهي تقول: إياك أن تتبعني... سأعود.

مزرعة "آرتو"

وذهب " لاندري" مساء ليرى أباه ويخبره عن سفر " فانشون فاديت" ويقول له أيضاً انه لو أطاعه الآن لكنه قرر أن يجعل "فاديت" زوجة له. لم يكن الأب "باربو" يتوقع هذا السفر لكنه كان مسروراً به، وطالما أنه رجل مستقيم فقد قال:

- عليك أن لا تعود لرؤيتها... ولو كان ذلك لما سافرت. أرجو من الله أن لا يسبب سفرها هذا أذى لها أو لأخيها الصغير. وإذا كان هناك من الناس من يقول عنها الأقاويل فإن هناك من يدافع عنها. يقولون أنها تحب أن تسدي الخدمات، فلو كان ذلك صحيحاً فسندافع عنها نحن أيضاً كما يجب، كل ما اطلبه منك أن لا تتزوجها فقال "لاندري":

- إن "فاديت" فتاة طيبة مثل أختي "نانيت" تماماً، ولا أطلب منك الآن أن تغفر لي الألم الذي سببته لك. سنتحدث عن ذلك فيما بعد كما وعدتك. وكان الأب "باربو" عاقلاً جداً ولم يعد يتكلم بالمسألة، ولم يعد أحد يذكر اسم "فاديت" الصغيرة في "البيسونيير" وظن "سلفان" أن أخاه سوف ينسى هذه الفتاة وهو حتماً يحبها أكثر منه، فـ"لاندري" يحب أخاه الأكثر في العالم ولم يعد يتحدث مع أخيه لأنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من إظهار عدم حبه لها فكان يقضي وقته مع "كاديه غايو" والصغير "جانو" إذ كان يعلمه القراءة.

وبدأت أخته "نانيت" تبدي اهتماماً بصـــداقة "كاديه غايو" مما ســـبب ســـعادة لدى الأسرتين، ولكن "سلفان" كان يريد صداقة جميع الذين يحبهم وله وحده، فصار يزداد حزناً ولم يعد يضـحك ويشـعر بتعب متزايد عندما يعمل فترتفع حرارته كل مسـاء ويقول أن لا أحداً يحبه وأنه غدا عبئاً على والديه وأنه يريد أن يموت.

أحضـروا له الأطباء فلم يفهموا شـيئاً من هذا المرض، وبما أن القابلة كانت قد ماتت اضطروا أن يلجأوا إلى "فاديت" الأم. كانت العجوز صماء وشبه عمياء ولا تفهم إلا بصعوبة ولكنها قالت:

- إن ابنك يحمل في قلبه الكثير من الصداقة ويمكن أن يشفى لو بدأ يحب النساء. في اليوم الذي سيحب فيه فتاة منهن أكثر مما يحب أخاه. إنه ولد لم يفكر حتى الآن إلا بأخيه وهكذا نسيـ قانون الله الذي قضىـ بأن يحب الرجل المرأة أكثر من أبيه وأمه وأخوته وأخواته. ولكن لا تخافوا فلا بد للطبيعة أن تناديه، وإذا أحب امرأة زوجوها له سواء كانت فقيرة، جميلة، قبيحة أو خبيثة، فهذا الصـبي لن يحب امرأتين في حياته. وبدت هذه النصيحة مقبولة من الأب "باربو" فقرر أن يرسـل "سـلفان" إلى بيوت فيها بنات وسـيدات جميلات صالحات للزواج. لكن الفتيات مع الأسف يحببن الشاب الجميل ولا يحببن الشاب الحزين الذي لا يبدي اهتماماً بهن.

لم يدر الأب "باربو" ماذا يفعل وقال له الأب "غايو":

- هل رأيت "لاندري" كيف كان يبدو تعسـاً عندما تكون "فاديت" إلى جانبه أما الآن فهو عاقل تماماً، وسـيكون "سـلفان" كذلك إذا ابتعد عن أخيه لخمسـة أو سـتة أشـهر. إن عندي مزارع في "آرتو" مريض منذ ما يقرب من سـنة حبذا لو أسـتطيع أن أرسـل له عاملاً يساعده فيقل عمله ويستعيد صحته. فلو أردت أن أرسل "لاندري" يقضي الموسم عنده دون أن تذكر ذلك لـــ" سلفان" ونقول له أنه سيغيب ثمانية أيام فقط فإذا انقضت الأيام الثمانية نمددها بثمانية أخرى وهكذا...

كان "لاندري" حزيناً لذلك فهو يحب قريته ويحب عمله وأسرته ويحب معلميه، ومن المحزن أن يغادر "لابريش" لكنه رحل إلى "آرتو" حتى بدون أن يشكو. وفي مساء اليوم الذي سافر فيه "لاندري" غدا "سلفان" أكثر حزناً وازداد ارتفاع حرارته أكثر من أي وقت مضى. أما في اليوم الثاني فقد غدا أكثر هدوءاً، وفي اليوم الثالث لم ترتفع حرارته ولاحظ الجميع أنه قد

تحسن في فترة أسبوع وظن أن أخاه "لاندري" وهو وحيد هناك لا يستطيع أن يكون صداقات جديدة مباشرة فلا يمكنه أن يفكر إلا به، وعندما سيعود سيحبه أكثر من السابق.

كان قد مضى على سفر "لاندري" ثلاثة أشهر وعلى "فاديت" الصغيرة ما يزيد عن سنة. عندما مرضت الجدة مرضاً خطيراً فعادت الفتاة لتعتني بجدتها، ولكن العجوز توفيت بعد خمسة عشر يوماً... ونقل جثمانها إلى مقبرة القرية.

وفي مساء ذلك اليوم رتبت "فاديت" البيت وأنامت أخاها الصغير وقبلت قريبتها التي جاءت لتعيش معهم وجلست بهدوء حزين قرب النار تردد أغنيتها القديمة

فاديت فاديت فاديت الصغيرة

كل فاديت لها فاديها

وهطل المطر وراحت "فاديت" تفكر بـ"لاندري" عندما سمعت طرقاً على الباب وصوتاً يقول لها:

- "فانشون فاديت" هل أنت هنا؟ هل عرفتني؟ فتحت الباب بسرعة وارتمت بين ذراعي صديقها. كان "لاندري" قد علم صباح هذا اليوم فقط بمرض العجوز ووفاتها وعودة حفيدتها فجاء إليها في نفس المساء. قضيا الليل كله يتحادثان بهدوء قرب النار، وشعرا بالسعادة فهما مع بعضهما، وشعرا بحب يجمعهما لم يشعرا بمثله من قبل. وقال "لاندري":

- خبئيني في الأهراء عندك عندما يطلع النهار وسنعود لنتحدث من جديد في المساء. وردت عليه:

- لا... أبداً، سأبقى أنا في البلدة ولي مبرراتي وسأقولها لك. يمكنك أن تراني غالباً، أما من أجل أخيك الأفضل أن تبقى قليلاً بعيداً عن البلد.

- هذا ما يجعلني أقرر أن أتركك! فقد سبب لي أخي الكثير من المتاعب ولا أريد المزيد منها، أنت يا من تعرفين الكثير يا "فانشونيت" يمكنك أن تجدي لنا حلاً يشفيه.

- لا أعرف سوى أن نتحدث معه بالعقل، إن نفسه تسبب له مرض جسمه فيجب أن نشفي أحدهما حتى يشفى الآخر.

- ولكن... إذا أردت أن تتحدث إلى الآخر، يجب أن يكون هذا الآخر يصغي إليك وأنت تعرف أن "سلفان" لا يحبني! فقال "لاندري":

- أنت شـديدة الذكاء يا "فاديت" تتحدثين بشـكل رائع فلو أردت أن تتعبي نفسـك وتتحدثي معه سـاعة واحدة فقط فقد يتغير. حاولي ذلك وأنا أطلب ذلك منك. افرضي عليه أن يصـغي إليك، ابذلي هذا الجهد من أجلي يا "فانشـونتي" فإذا لم يشـفَ أخي فكيف نستطيع أن نتزوج؟!

سلة "فاديت"

لم يخبر "لاندري" أحداً أنه عاد إلي البلدة فقد يذكر البعض ذلك أمام "سـلفان" ولن يغفر له أخوه أنه جاء ليرى "فاديت" وليس ليراه هو. وبعد يومين ارتدت "فاديت" أنظف ثيابها فهي تملك الآن مالاً، واسـتطاعت أن تشـتري ثوباً لها من قماش رائع وتناولت طعاماً جيداً فلم يعد يبدو عليها أنها صبي ناحل، ومن ثم فقد كبرت وقويت. كانت رقيقة الجسم جميلة المنظر فقد وضـع الحب والسـعادة على وجهها شـيئاً يمكن أن تراه ولا تسـتطيع تفسيره، ومع ذلك فليست أجمل فتاة في هذا العالم كما يظنها "لاندري" لكنها الأكثر دقة في الصنع والأكثر نضارة في هذا البلد.

حملت سـلة كبيرة في ذراعها ودخلت إلى "البيسـونيير" وطلبت أن تتحدث إلى الأب "باربو" رآها "سـلفان" الأول فأدار لها ظهره فسـألته عن والده بكل دماثة ولطف حتى اضـطر أن يرد عليها وأخذها إلى المشـغل حيث كان الأب مشـغولاً بقطع بعض الأخشـاب، فطلبت منه أن تحدثه على انفراد فأغلق الباب دون أن يجيبها، فلم ترغب أن تعلق على هذا الصمت وجلست على كومة من القش وجلس على كومة أخرى فقالت له:

- أيها الأب "باربو" إن جدتي المسـكينة لم تكن تحبكم وأنتم لم تكونوا تحبونها، تلك هي الحقيقة. وأنت الرجل الوحيد في هذه القرية الأكثر ا ستقامة والأكثر ثقة، أنا أعرف ذلك لذلك جئت إليك أطلب خدمة.

- اطلبي يا "فاديت" فأنا لا أرفض سماع أحد أو م ساعدته في أمر أظن أنني قادر على القيام به. وأمسـكت "فاديت" سـلتها وكانت قد ركنتها إلى جانبها فوضـعتها بين قدمي الأب "باربو":

- لقد اعتنت جدتي بالكثير من الناس في حياتها وباعت الكثير من الأدوية وربحت من الأموال أكثر مما يظن، فلم تكن تنفق شيئاً وكانت تردد لي دائماً:

- عندما أموت ستجدين بالقبو خلف الأحجار إلى يمين الباب ما أتركه لك، إنه لك ولأخيك، وإذا أعطيتك الآن القليل فلأعطيك الكثير يوماً ما. ولكن لا تدعي رجال القانون يمسون هذه الأموال فيأخذونها منك. حافظي عليها وعندما تجدينها خبئيها طيلة حياتك لتستخدميها عندما تشيخين فلا تحرمي نفسك من شيء.

- وأطعت جدتي، فبعد أن توفيت أخذت المفتاح ونزلت للقبو وانتزعت أحجار الجدار في المكان المحدد فوجدت ما احمله في هذه السلة لذا جئت أطلب منك أيها الأب "باربو" أن تودعها عندك فلا تمر على رجال القانون. ولم يستطع الأب "باربو" إلا أن يلقي ببصره إلى السلة وقال لها:

- لقد أتيت لي إذن بأمر كثير الجدية، وحمل السلة بين يديه فوجدها ثقيلة حتى شعر برغبة في فتحها مباشرة.

و"فاديت" الصغيرة أفرحتها هذه الرغبة حتماً وقالت ببطء وهي تضع يدها فوق السلة:

- أرجو أيها الأب "باربو" أن تسدي لي هذه الخدمة الصغيرة فأنا لا أعرف قيمة هذه القطع القديمة والحديثة، وأنت الرجل الوحيد الذي يمكنه أن يقول لي هل أنا غنية أم فقيرة.

ولم يعد لدى الأب "باربو" الشجاعة أن ينتظر لأكثر من ذلك فقال لها:

- إنك لم تطلبي مني خدمة كبيرة ولا يحق لي أن أرفضها. عندها فتحت سلتها وأخرجت منها كيسين كبيرين فقال الأب "باربو":

- حسناً... لا بد أن يكون في كل كيس حوالي الألفين من القطع الذهبية فلا يوجد في القرية شاب لا يسر بأن يعثر على فتاة غنية فقالت "فاديت":

- ليس هذا كل شيء ففي أسفل السلة كيس صغير فيه قطع صغيرة لا أعرف كم تساوي إنها مئة قطعة ذهبية صغيرة وقديمة جداً. فأخذها الأب "باربو" وعدها ثم عدها

وأعادها على السلة، وأخرجت "فاديت" كيساً صغيراً آخر وكيساً ثالثاً وكيساً رابعاً وفيها جميعاً ما يزيد على عدة مئات من الفرنكات.

- إن هذا يزيد ثلاثاً على كل أراضي ومروج الأب "باربو" ومن ثم فهل لم ير فيما سبق مبلغاً كبيراً كهذا بين يديه دفعة واحدة. وإن رؤية المال لا تسبب إزعاجاً بالنسبة للفلاح. لذا شعر الأب "باربو" بالارتياح وببعض الحسد فأخذ تنفسه يزداد سرعة عما اعتاد عليه وقال لها:

- يا إلهي أنت تملكين ما يقرب من مليون فرنك من الذهب فأنت أغنى فتاة في البلد،، وأخوك وإن كان مريضاً فلن يشكو من شيء. فكوني سعيدة يمكن أن تؤمني بأنك غنية وأن تطلبي ذلك إن أردت أن تجدي زوجاً بسرعة. وردت "فاديت" الصغيرة:

- لست على عجلة من أمري، وأتمنى عليك أن لا تذكر ذلك لأحد. أنا اعرف أنني قبيحة ولا أريد لأحد أن يختارني من أجل مالي ولكن من أجلي فقطز فطالما أنهم لا يحبوني كثيراً فسأعيش بالشكل الذي يرون فيه جيداً من أكون.

فتوقف الأب "باربو" عن النظر إلى السلة بعينيه المتدليتين ونظر إلى "فاديت" الصغيرة وقال ببطء:

- كنت قبيحة... لكنك تغيرت كثيراً وأصبحت فتاة جميلة بحق، إن ما تقولينه مليء بالتعقل. فكرة جيدة أن تصمتي إذ يجب أن لا تنتقى الفتاة من أجل مالها كزوجة. إن ذهبك يجب أن يبقى في أيد أمينة وسأسأل عما يمكن أن نستخدمه فيه دون أن اذكر اسمك... وعادت "فاديت" الصغيرة إلى بيتها وهي تقول:

- هل يستطيع الأب " باربو" أن يقول أو يظن أنني أريد أمواله ولا أريد ابنه "لاندري"؟

يد "فاديت" الصغيرة

وحدث ذلك التغيير الكبير في شـخص "فاديت" وعاداتها حتى أن ماضـيها قد نسيـ تماماً وتسـال الشـباب الذين كانوا يرونها تمشيـ بخفة ورشـاقة وجميلة جداً ويقولون: كان يجب أن نهتم بها قبل اليوم وأن نراقصـها، وأخذ الأب "باربو" يتحدث عن البنت الشـابة كلما ظهر خطأ كذبة سـابقة عنها، فكان سـعيداً بذلك ويكرر دائماً أن ابنه "لاندري" لا يمكن أن يسيـء إلى هذه البنت الشـابة الطيبة حقاً... إن كل الناس في البلد قد تغير رأيها فغدت الآن تعجب كل الناس ويتحدثون عن عودة سريعة لـــ"لاندري" وبدا كأن الأب "باربو" هو الذي يرتب لها مع الأب "غايو".

أدرك "سـلفان" أخيراً أن لا أحد في الأسرة ضـد "لاندري" فعادت إليه التعاسـة، إذ كان الأب "باربو" يتحدث عن الزواج قائلاً: إن التوأمين قد بلغا السن المناسبة. وهذا الكلام يعني بالنسبة لـ"سلفان" فقد أخيه فعادت إليه الحمى وجيء له بالأطباء.

والتقت الأم "باربو" يوماً بصـديقة لها تدعى "لافانشـيت" فروت لها قصـة "سـلفان" فأجابتها الأخيرة:

- لماذا تطلبين له الأطباء، إنهم لا يفهمون بهذا النوع من الأمراض. اطلبي "فاديت" الصـغيرة فهي لا تأخذ مالاً كجدتها ولن تخسرـي شـيئاً فهي تعرف أشـياء تفوق ما تعرفه جدتها العجوز.

وتحدثت الأم "باربو" في ذلك مع زوجها وقالت له إن الكثير من الناس في "شاتوميلان" ذهبوا ليطلبوا نصـيحة "فانشـون فاديت" ووجدها أكثرهم جيدة. وفي اليوم الثاني جاءت تطلب من "فاديت" أن تعتني بـــ" سلفان" الذي يرقد مريضاً. أما "فانشون" فقد وعدت "لاندري" أن تتحدث مع أخيه، وحاولت عدة مرات أن تلتقي به لكن الشـاب كان يدير لها ظهره لذلك تبعت الأم "باربو" إلى "الببسـونيير". كان "سـلفان" نائماً وطلبت "فاديت" أن تبقى معه وحدها فوضـعت يدها فوق يده المتدلية إلى جانب السرـير برفق كبير حتى لم يشعر بها.

كانت يده سـاخنة جداً مثل النار وغدت أكثر سـخونة بيد الفتاة. تحرك قليلاً لكن لم يحاول أن يسترد يده، فوضعت يدها الأخرى فوق جبينه. تحرك جسد الشاب كله شيئاً

فشيئاً وشعرت الفتاة أن رأس الشاب ويده غدت أقل حرارة وأن نومه غدا هادئاً كأنه طفل صغير، وعندما شعرت أنه سيصحو غادرت الغرفة والبيت أيضاً ونادت الأم "باربو" وقالت لها:

- اذهبي وانظري ابنك، لقد تحسن، أعطيه ما يأكله ولا تخبريه أني كنت هنا إن كنت تريدين أن يشفى. سأعود مساء لو قلت لي أنه بحال أسوء من المعتاد.

أحضرت الأم "باربو" له الطعام فتناوله بسرور وعجب لذلك أفراد الأسرة فهو منذ أن لازمته الحمى ولم تغادره لستة أيام لم يرد أن يأكل شيئاً، وتساءل الجميع كيف حدث ذلك و"فاديت" الصغيرة لم توقظه ولم تسفه شيئاً ومنحته الكثير من الخير. عادت إليه الحرارة في المساء وارتجفت يداه وساقاه وصار يتحدث وهو نائم ثم يستيقظ ويشعر بالخوف من الناس حوله. وصلت "فاديت" وبقيت وحيدة معه ساعة كاملة ولم تعمل شيئاً سوى أن تضع يدها بيده وفوق رأسه بمنتهى الرقة وتتنفس بانتعاش أمام وجهه الساخن. وفي الصباح زالت عنه الحمى ومنحته الهدوء وغادرت وطلبت أيضاً أن لا يذكروا له أنها كانت بقربه. واقتنع الأب والأم "باربو" بزواج "لاندري" من "فاديت" ويتمنون أن يتقبل "سلفان" الأمر بشكل جيد. عندها روت الأم لـ"سلفان" القصة وكيف استطاعت "فاديت" أن تشفيه وبدا أن "سلفان" لم يصدق هذا وقال أن الحمى غادرته من نفسها وأن يدا "فاديت" لم تعملا شيئاً، وبقي بصحة جيدة لعدة أيام. ومن ثم تحدث له أبوه عن زواج قريب لأخيه "لاندري" دون أن يذكر له من هي، ولاحظ "سلفان" ذلك وقال:

لا داعي لأن تخفي علي اسمها فأنا أغرف جيداً أنها "فاديت".

مشكلة "سلفان"

خشي الأب "باربو" أن تكون "فاديت" الصغيرة تتذكر أنه تكلم معها بقسوة كنه لم يرغب في أن تكون قد نسيت "لاندري" فعندما حضرت إلى "البيسونيير" لتعتني بـ"سلفان" أراد أن يسألها عن أخبار ابنه فبدت كأنها لم تسمع. وفي أحد الأيام قرر أن يذهب لرؤيتها فقال لها:

- "فانشون فاديت" لا يحق لي أن أستجوبك ولا ادري إن كنت لا تزالين تفكري بأن تجعلي ابني سعيداً، لكنني أعرف أنه يحبك كثيراً ولو كنت مكانك لفكرت بهذا الشكل فقالت:

- إن "لاندري باربو" أحبني عندما كنت فقيرة، عندما رفضني كل الناس، عندما كان أهله لا يرغبون بي، وجدني جميلة عندما ظن الناس أنني سأبقى دميمة طوال عمري. أحبني عندما خلق له هذا الحب الكثير من المتاعب أحبني عندما كنت معه وأحبني عندما غادرته وأخيراً أحبني بشكل أستطيع معه أن أثق به وأن لا أتمنى شخصاً آخر كزوج لي. وتابعت:

- أنا أذكر ذلك منذ زمن طويل أيها الأب "باربو" وقد قلت مراراً وأكرر أنني لن أدخل إلى أسرة تخجل من وجودي فيها.

- "فانشون"! إن أسرة "باربو" اليوم لا تفكر بك إلا بأشياء جيدة ولا تظني أننا تغيرنا لأنك أصبحت ثرية فنحن لم نرفضك لأنك كنت فقيرة لكن بسبب السوء الذي كان يقال عنك.

- لو كان ما يقال عني صحيحاً لكان "لاندري" يمكن أن يموت، فأنتم لم تأتوا إلينا ولا مرة واحدة.

- أعترف أن الناس قد كذبوا علي وأن "لاندري" كان على حق وأنت فتاة طيبة حقاً لذا جئت أطلب إليك أن تكوني ابنة لي... لو قلت نعم سيكون "لاندري" هنا خلال ثمانية أيام فقالت "فاديت" نعم بسرعة. وتحددت مراسم الزواج في نهاية العام بعد وفاة الجدة بعام كامل. ولدى انتشار الخبر عاد المرض يستولي على "سلفان" من جديد فأسرعت أمه لترى "فانشون فاديت" من جديد وتطلب إليها أن تنتظر بضعة أيام ليحدثوه بشأن الزواج فقالت "فاديت":

- لقد أخطأت أيتها الأم "باربو"لقد عالجت "سلفان" وهو نائم لكنه اليوم سيراني وإن حاولت أن أعتني به فقد أسبب له مزيداً من الألم أكثر من الخير فقالت الأم:

- لا أظن ذلك فقد سألني الآن قبل أن ينام! آه أين "فاديت هذه؟ هي لن تعود أبداً! فقلت له أنني سأطلبك وبدا أنه سر لذلك.

- سأذهب إليه الآن لكن سأعتني به بشكل مغاير هذه المرة.

رأى "سلفان" "فاديت" إلى جانب سريره.. لم يكن يريد أن يجيب عن أسئلتها ويسحب يده عندما تريد أن تمسكها له ويدير لها ظهره عندها أشارت "فاديت" للجميع أنها تريد أن تبقى وحيدة معه.

وأطفأت "فاديت" النور عندما خرج الجميع. كانت الغرفة معتمة إلا من بعض نور من ضوء القمر وكان بدراً في تلك الليلة عندها أعطته هذا الأمر: أعطني يديك الاثنتين وقل لي الحقيقة، أنا لم أحضر من أجل الدراهم، وإذا كنت اتعب في العناية بك فلا يجب أن يساء استقبالي وتساء مكافأتي فانتبه إلى ما سأطلبه منك وإلى ما ستقوله لي ولا يمكنك أن تخدعني.

ودهش "سلفان" عندما سمعها تتحدث بهذه الحرية: هذه الساحرة "فاديت" فبسط يديه لها كأنه طفل وقال لها: اسألي ما تريدين فسأجيبك!

- "سلفان باربو" يبدو انك تريد أن تموت. وضغطت على يديه وتأثر كثيراً بهذا السؤال وأجاب:

- أليس هذا الأفضل بالنسبة لي، إنني أسبب العذاب لأسرتي بسبب سوء صحتي وبسبب...

- قل كل شيء يا "سلفان"

... وبسبب حبي الكبير للذين أحبهم فلا أستطيع أن أتغير

- بلى بسبب قلبك السيئ!

كانت تتحدث بقسوة كبيرة معه حتى أن الشاب شعر بغضب شديد و شعر بالخوف أيضاً...

إن الله قد وضع بعضاً منه في كل منا

- ما الذي يدفعك لأن تخاطبيني بهذا الشــكل؟ ألأنني لا أملك القوة لأدافع عن نفسي...

- أقول لك حقيقتك يا " سلفان" و سأقول لك أ شياء أخرى فانا أعرف جيداً أنك لست مريضاً والخطر الوحيد الذي تتعرض له هو انك تكاد تجن لأنك ضعيف وخبيث.

- ضعيف النفس أعرف هذا، لكن خبيث... لا أظن ذلك.

- لا تحاول أن تدافع عن نفســك أنا أعرفك أكثر مما تعرف نفســك، عندما يكون المرء ضعيفاً يكون مخطئاً.

- عندما تتكلمين عني بهذا الشر فهذا يعني أن أخي "لاندري" تحدث لك عني بالسوء فقالت:

- هذا ما كنت أنتظره يا "ســلفان" أعرف جيداً أنك لن تقول ثلاث كلمات إلا لكي تشتكي من أخيك التوأم. أنت تحبه بجنون ولست طيباً. ولكنني أقول لك أن أخاك "لاندري" يحبك عشرة أضعاف ما تحبه. هل يشكو منك؟هو يشعر بالألم عندما تكلم عنه بسوء إنه لا يفكر إلا بك وبخدمتك. كيف تريد أن لا أرى الفرق بينكما. وبقدر ما تحدث لي "لاندري" بالخير بقدر ما فكرت أنت به بالســوء يا "ســلفان" إن أخاً كهذا يجب أن يقدره أخ طيب عادل.

- أنت تكرهينني أيضــاً يا "فاديت" فأنا لم أخطئ وأعرف أنك تريدين أن تنتزعي حب أخي لي عندما تقولين له الشر عني.

- أنا انتظر هذا منك يا "سلفان" وأنا مسرورة بأن تقول لي ما تفكر به وأجيب بأن لك قلب سيء وأنت كاذب، فأنت تفكر ســوءاً بي... وأنا من دافعت عنك من كل قلبي وأنت الذي انتزعت الفرح منه... الفرح الوحيد الذي أملكه في هذا العالم وهو أن أرى أخاك "لاندري"، وأن أبقى معه أنا التي كنت أرســله إليك ليمنحك الســعادة التي أفقدها. كنت دائماً عدواً لي ولا يوجد في القرية ولد أســوء منك بالنســبة لي. كنت ترميني بالحجار كلما التقيت بي وإذا كنت أردت لك الخير عن شرك فما ذلك إلا لكي أرضي الله الموجود في كل منا بأن أغفر للآخرين وأنت عدو له.

- أنا عدو الله يا "فاديت" لقد سمحت لك بان تقولي الكثير لكن هذه قوية جداً.

- ألم تقل انك تريد أن تموت؟ هذا ما ينتظره الله من شاب؟

- أنا لم أرد أن أقول.... وتابعت:

- لقد قلت كل هذا وأنا أعرف الحقيقة، أنت لا تريد أن تموت بل تريدهم أن يظنوا ذلك لكي تبقى سـيد الأسرة وتسـبب آلاف الآلام لوالدتك المسـكينة وأخيك التوأم. فمن الحماقة أن يصدق أنك تريد مفارقة الحياة. إنك لن تستطيع خداعي يا "سلفان" واعرف أنك تخشى الموت كما يخشاه كل الناس لكنك تتسلى بالخوف الذي ستسببه للذين يحبونك ويرضيك أن لا يقوموا بما يفرضه العقل عندما تقول لهم أنك ستغادر الحياة، ويريحك أن تقول كلمة واحدة فيطيعك الجميع لكن هذا عمل سيء يعاقبك الله عليه بأن يجعلك أكثر بؤساً مما لو كنت مطيعاً له.

- سأقول لك ما تحتاج إليه لتكون شاباً عاقلاً وطيباً، تحتاج إلى أهل قساة وتعاسة دائمة وخبز غير متوفر وضرب أحياناً. لو كنت تربيت كما تربيت أن وأخي لكنت تعترف بجميل كل كلمة طيبة تقال لك... لا تحدثني عن التوأم فقد قيل الكثير عنك وعن صداقتك له وأنها قانون طبيعي يمكن أن تموت بسببه. هذا ليس صحيحاً. إن الله يعطي الفرد القوة اللازمة له... غلا إذا كنت مجنوناً ولأنت لست كذلك. لا أصدق أنك لا تستطيع أن تخلص نفسك. وترك "سلفان" "فاديت" تتكلم فهي على حق وأدرك أنه يرغب في يوم ما أن ينقذ نفسه كما قالت وعرف أنه كان يفكر بنفسه دائماً فشعر بالخجل ورغب أن يعطي عن نفسه فكرة أفضل. وكانت "فاديت" تعرف أنها قد تكون تكلمت بقسوة لكنها تعرف أنها لصالح هذا الشاب فكانت تظهر غضباً بينما لا يكون في قلبها إلا الصداقة واللطف والرقة. فكانت أكثر تعباً منه عندما غادرته.

الحقيقة

في الحقيقة لم يكن "ســلفان" إلا نصــف مريض كما يبدو عليه وكما يريد أن يعتقد. ولقد أدركت "فاديت" الصـغيرة أن ارتفاع حرارته ليس كبيراً وأن نفســه مريضــة أكثر من جسده واعتقدت أنها أحسنت صنعاً بأن جعلته يخاف منها.

كانت تعود غليه كل صــباح فتجده لم ينم طويلاً ... لم تكن حرارته مرتفعة ومد يده لها فقالت له:

- لماذا تمد يدك لي يا " سلفان" هل تظن أن حرارتك مرتفعة لا تزال أرى من وجهك أن لن تشكو منها.

خجل "سلفان" عندما رأى اليد التي لم ترد أن تمسكها وقال لها:

- مددتها لكي أســلم عليك وأشـكرك عما سـببته لك يا "فاديت" من جهد تبذلينه من أجلي عندها أمسكت الفتاة بيده وقالت وهي تسدد بصرها نحوه:

- أ شكر لك سلامك فأنا لا أرفض أبداً يداً امتدت إلي ولا أظنك على خطأ حين تظهر لي اهتماماً لا تشعر به ولو قليلاً.

كان "سلفان" مسروراً وقال لها بلطف:

- لقد تكلمت معي مسـاء البارحة بكل قسـوة يا "فانشـون" ولا أدري كيف لم أشـعر بالغضب الشديد منك حتى أنني وجدت أنك طيبة جداً بحضورك لرؤيتي.

جلست "فاديت" قرب سريره وتكلمت معه بشكل مغاير تماماً لكلام الأمس فقد بدت طيبة جداً ولطيفة جداً حتى شعر "سلفان" بسعادة كبرى. أخذ يبكي وعرف أخطاءه وطلب منها أن تسـامحه وعرض عليها بكل لطف أن تكون صـديقته مما جعلها تعرف بعد قليل أن له قلب أفضـل بكثير من رأسـه. تركته يتكلم وعندما أراد أن يسـحب يده من يدها احتفظ بها وهو يمسك بها بشدة فقد شعر بأن هذه اليد هي التي شفته من مرضه ومن تعاسته في نفس الوقت.

وعندما رأته وقد وصل إلى هذه النقطة التي أرادت أن تقوده إليها قالت:

- أنا ذاهبة وعليك أن تنهض يا "سلفان" فليس عندك أي حمى، وعليك أن لا تدع أمك تقوم بخدمتك لوقت أطول من هذا. ستأكل ما ستقدمه لك من قبلي و سيكون لحماً. أعرف أنك لا تأكله وإذا كنت لا تريده فلا تدع هذا يبدو عليك. سـيكون ذلك سـبب فرح والدتك وعندما تأكل منه للمرة الثانية أو الثالثة فستجده طيباً وتستعيد قوتك.

- إلى اللقاء إذن، وأرجو أن لا تطلب رؤيتي في هذه الأيام وأعرف أنك لن تصـــاب بالمرض إذا لم تكن تريد ذلك.

الزفاف المزدوج

قالت الأم "باربو" لزوجها:

- أرأيت؟ إن "ســـلفان" أكل اليوم كل ما قدمته له... يا لهذه الفتاة، يا لها من امرأة. يتحدث لي عنها كأنها الإله الطيب ويريد أن يراها وهو ســعيد جداً لزواج أخيه منها. أنا لا أدري إن كنت أحلم أم أنا واقفة أمامك؟ وقال الأب "باربو":

- من السـعادة أن يكون لدى الأسرة مثل هذه الفتاة. وطلب "سـلفان" أن يكون أول من يفاتح أخاه في هذا الموضـــوع. وبعد ثلاثة أيام ســـافر "ســـلفان" إلى "آرتو" فقال له "لاندري" وهو يعانقه:

- أنت تأتي لملاقاتي يا "سـلفان" ويبدو عليك الفرح مثلي، ما أسـعدني. وعادا معاً حتى بدون أن يتلهيا في الطريق فلم يكن من هو أ سعد من ناس "البيـ سونيير" عندما جلـ سوا إلى المائدة ومعهم "فاديت" وأخوها "جافيت".

وبعد عدة أيام طلب "نانيت" الصغيرة للزواج وهو اعز أصدقاء "لاندري" وتقرر أن تكون حفلتا الزفاف في يوم واحد. أما " سلفان" فلم يفعل شيئاً دون أن يـ ستـ شير "فاديت" الصغيرة فلم يعد مريضاً وغدا يحبها تماماً كما لو كانت شـقيقته، وإذا شـعر بالأسى مرة ما تنظر إليه "فاديت" فيبتسم مباشرة.

وتم الزفاف في نفس اليوم وفي نفس الكنيسـة وعلى رأسـهم الأب "غايو" وهو أقسىـ وأصـلب رأس في القرية، انتهى بعد ثلاثة أيام فقط بأن يتكلم وهو لا يعي ماذا يقول، وبعد شهر تقريباً قال الأب "باربو" لابنه "سلفان":

- وأنت!... متى ستتزوج؟ ورد الشاب:

- يا أبي... لقد فكرت بذلك من قبل، أنا لا أرغب بالزواج وأريد أن أســافر لأرى بلاداً أخرى... ســـأرحل إذن وســـأكون جندياً طيباً. ولم يســـتطع أحد أن يجعله يغير رأيه حتى "لاندري" نفســـه. تحدثت معه "فانشـــون" لأكثر من ســـاعتين، وعندما افترقا كان الاثنان يبكيان. وقالت ببساطة:

- من واجبنا جميعاً أن نتركه يرحل، ومشى معه "لاندري" إلى أبعد نقطة يستطيعها وأعاد له رزمته التي أصر أن يحملها له.

وغدا " سلفان" جندياً ماهراً... وبعد عشر سنوات كان تحت إمرته مئتان من الجنود. وعندما علم أبوه بذلك قال لزوجته:

- آه... ليته يستطيع أن يعود... آن الأوان بالنسبة له لكي يرتاح... لا أدري لماذا أصر على مغادرتنا، هو ذلك الشاب الهادئ الذي لا يحب القتال.. وكان عليه أن...

- لقد قالت "فاديت" أن ندعه يرحل وهي على حق، ولا يمكن لأم أن تنخدع، أعرف أنها على صواب

أريد فعلاً أن أعلاف الحقيقة.

- حسناً إن "فاديت" فتاة رائعة الجمال حادة الذكاء وقد بدأ "سلفان" يقع في حبها هو أيضاً.

- إذا كان الأمر كذلك فلشد ما أخشى أن يعزف عن الزواج نهائياً، وهذا ما قالته لنا السحرة العجوز: إنه عندما يقع في حب امرأة ما سيصبح أكثر جنوناً من أخيه، ولن يحب في حياته إلا امرأة واحدة ففي قلبه فيض من الصداقة.

الصفحة الأخيرة

متعة أن تنجب الأم طفلين بآن واحد. فهذا يسبب فرحاً وسعادة لكل الأهل والمحيطين بهم، رغم بعض الصعوبات التي تعاني منها الأم في رعاية طفلين بوقت واحد.

وقد يسـبب للأم إرهاقاً جسـمياً وللأب إرهاقاً اقتصـادياً لاسـيما إن كان هذا الأب في حالة اقتصادية متوسطة قادرة على الإيفاء بحقوق طفل وحد.

أضـف إلى ذلك الإرباك الحاصـل إذا كان الطفلان متشـابهين تماماً ونسـخة واحدة عن بعضهما فلا يمكنك أن تفرق بين التوأم وأخيه. عندها تقع مشاكل بعضها مألوف وبعضها لا يخطر على البال.. ومنها هذه القصة.

فهرس المحتوى